لا يوجد لصوص في هذه المدينة

تأليف :

جابرييل جارسيا ماركيز

وآخرين



ترجمة :

شوقي فهيم

لا يوجد لصوص
في هذه المدينة

لا يوجد لصوص في هذه المدينة

قصص من أمريكا اللاتينية

تأليف
جابرييل جارسيا ماركيز
وآخرين

ترجمة
شوقي فهيم

دار آزال
بيروت

مكتبة مدبولي
القاهرة

الطبعة الأولى
١٩٨٦

دار آزال
للطباعة والنشر والتوزيع
كورنيش المزرعة ـ مركز بيروت التجاري
هاتف : ٣٠٠١٧٦ ـ ٣١٨٨٥٦
ص . ب : ١٤/٦٢٩١
بيروت ـ لبنان

مكتبة مدبولي
القاهرة
٦ ميدان طلعت حرب

جابرييل جارسيا ماركيز

وُلـد

جابرييل جارثيا ماركير عام ١٩٢٨ في مدينة آراكـاتاكـا بكولـومبيا في أمـريكا اللاتينية . ومنذ عام ١٩٥٠ عمل صحفياً في مختلف دوريات أمريكا الجنوبية ، وسافر إلى كل أنحاء أوربا وأمريكا . كما عاش فترة في المكسيك . من أشهر أعماله الروائية التي تُرجمت الى العربية :

« مائة عام من العزلة » ، و« ليس لدى الكولونيل من يكاتبه » ، و « وقائع موت مُعلن » ، « خريف البطريرك » . . إلى جانب عدد كبير من مجموعـات القصص القصيرة .

جابرييل جارسيا ماركيز :

لا يوجد لصوص في هذه المدينة

ترجمة: شوقي فهيم

عاد داماسو إلى الحجرة مع أول خيوط الفجر . وكانت أنّا[1] ، زوجته الحامل في شهرها السادس ، تنتظره جالسة فوق السرير مرتدية ملابسها وحذائها . بدأ مصباح الجاز يذبل . تأكد داماسو أن زوجته كانت تنتظره كل دقيقة خلال الليلة كلها ، وحتى الآن في هذه اللحظة حينما استطاعت رؤيته أمامها ، كانت ما تزال تنتظر . أومأ اليها متسائلاً لكنها لم ترد . ثبتت عينيها المروعوبتين على صُرة الملابس الحمراء التي كان يحملها في يده ، زمت شفتيها ، وبدأت ترتعش . أمسك بها داماسو من قميصها بعنف صامت . كانت تنبعث منه رائحة نفاذة .

تخلصت أنا من قبضة يده . ثم ألقت جسدها بكل ثقله للأمام تبكي على صدر زوجها الذي كان يرتدي قميص فانلة أحمر مخططاً ، ثم تشبثت بوسطه الى أن بدأت تهدأ . قالت :

« نمتُ وأنا جالسة ، فجأة فُتح البابُ ودُفع بك الى داخل الحجرة غارقاً في دمائك » .

أمسك داماسو بذراعها دون كلمة . أجلسها على السرير مرة أخرى . ثم وضع الصرة في حجرها وخرج إلى فناء البيت ليتبول . حلت رباط الصرة ورأت بها ثلاث كرات بلياردو ، اثنتين بيضاوين وواحدة حمراء ، كانت كلها قاتمة اللون ورثة من كثرة الاستعمال .

---

(١) ANNA

حين عاد داماسو الى الحجرة وجدها غارقة في التفكير .

سألته أنّا : « وما فائدة هذه ؟ »

هز كتفيه وقال :

« للعب البلياردو » .

ربط الصرة ثانية ووضعها مع المفتاح الماستر (الذي يفتح كل الأقفال)، والبطارية ، والسكين . . وضعها جميعاً في قاع صندوق الملابس . رقدت أنّا في مواجهة الجدار وخلعت ملابسها . خلع داماسو سرواله فقط . تمدد على السرير ، حاول وهو يدخن في الظلام أن يجمع تفاصيل مغامرته في ذلك الفجر ، حتى تأكد أن زوجته قد استيقظت .

- « فيما تفكرين ؟ »

قالت :

-« لا شيء »

بدا صوتها ، وهو صوت عميق في حالاته الطبيعية ، بدا حاداً بسبب غضبها . جذب داماسو نفساً أخيراً من السيجارة ثم سحق العقب على الأرض الترابية .

تنهد قائلاً :

« لم يكن هناك شيء آخر . ظللت بالداخل حوالي ساعة »

قالت :

« كان يمكن أن يطلقوا عليك النار » .

ارتعش داماسو . قال وهو ينقر بأصابعه على أطراف السرير : « اللعنة » . راح يبحث بيديه عن السجائر والكبريت على أرضية الغرفة . قالت أنّا :

« إن إحساسك إحساس حمار » .

كان يجب أن تتذكر أنني هنا ، غير قادرة على النوم ، متخيلة انهم جاؤوا بك ميتاً كلما سمعت ضجة في الشارع » ، ثم أضافت وهي تتنهد :

« وكل هذا ينتهي على ثلاث كرات بلياردو » .

ـ « لم يكن ثمة شيء بالدرج سوى خمسة وعشرين سنتاً » .

ـ « إذن كان عليك ألا تأخذ شيئاً » .

ـ كان أصعب ما في الأمر أن أصل الى الداخل . . ولم أستطع أن أعود خاوي اليدين » .

ـ كان يمكنك أن تأخذ شيئاً آخر » .

ـ « لم يكن يوجد شيء آخر » .

ـ « لا توجد أماكن بها أشياء عديدة مثل قاعات البليارد » .

ـ « يبدو لك هذا ، ولكنك عندما تكونين بالداخل تبدأين بالنظر الى الأشياء وتبحثين في كل مكان ثم تتحققين انه لا يوجد شيء يستحق أي شيء » .

ظلت صامتة لوقت طويل .

تخيلها داماسو بعينيها المفتوحتين ، تحاول أن تجد موضوعاً ذا قيمة في ظلمة الذاكرة .

« ربما » قالت أنا .

أوقد داماسو النور مرة أخرى . كان الخمر ينسل منه في موجات مركزة ، وأحس مرة أخرى بثقل ، وحجم أوصاله . قال « كانت هناك قطة ، قطة بيضاء هائلة الحجم » تلفتت أنا حولها، ضغطت ببطنها على بطن زوجها ، ووضعت ساقها بين ركبتيه . كانت تفوح منها رائحة البصل .

ـ « هل كُنتَ خائفاً جداً ؟ »

ـ « أنا ؟ »

ـ « أنت ، يقولون أن الرجال أيضاً يصيبهم الخوف » .

أحس بابتسامتها ، وابتسم هو . قال : « قليلاً » كان لا بد أن أتبول ، ولم استطع التوقف عن هذا « تركها تقبله دون أن يرد قبلاتها . ثم ، وقد وعى المخاطر التي مر بها ، ولكن دون ندم ، وكأنما يسترجع ذكريات رحلة ، أخبرها بتفاصيل مغامرته .

تكلمت بعد صمت طويل :
« هذا جنون » .

قال داماسو وهو يغمض عينيه :
« ولكن هذا لا يعتبر سيئاً جداً باعتباره أول تجربة » .

تأخرت حرارة الشمس في المجيء . عندما استيقظ داماسو كانت زوجته قد استيقظت منذ برهة . وضع رأسه تحت الصنبور في فناء البيت وتركها عدة دقائق حتى صار يقظاً تماماً . كانت الحجرة جزءاً من سوق مكوّن من حجرات متشابهة ومنفصلة ، لها فناء مشترك تعترضه حبال الغسيل . في مواجهة الحائط الخلفي أقامت أنّا فرناً متنقلاً للطبخ ولتسخين مكواتها ، ومنضدة صغيرة للأكل والكي . عندما رأت زوجها يقترب وضعت الملابس المكوية جانباً وأخذت المكواة من الفرن وسخنت القهوة . كانت أكبر منه سناً ، بشرتها شاحبة للغاية ، وحركاتها تمتاز بالهدوء والثبات شأن الذين تعودوا على الواقع .

أدرك داماسو من خلال غيمة الصداع التي تلف رأسه أن زوجته تريد أن تقول له شيئاً بنظرتها . حتى ذلك الوقت لم يكن قد أعار انتباهاً للأصوات التي في الفناء .

غمغمت أنّا وهي تعطيه القهوة « طوال هذا الصباح لم يكونوا يتحدثون في شيء آخر . منذ قليل ذهب الرجال الى هناك » .

رأى داماسو بنفسه أن الرجال والأطفال قد اختفوا من الفناء . وبينما كان يشرب قهوته أنصت متتبعاً حديث النساء اللائي كن ينشرن ملابسهن في الشمس . وأخيراً أشعل سيجارة وترك المطبخ .

نادى : « تيريزا » !

ردت على ندائه فتاة ملابسها مبتلة وملتصقة بجسمها . غمغمت أنا « خذ بالك » . جاءت الفتاة. سألها داماسو « ما الذي يحدث ؟ « قالت الفتـاة » شخص ما اقتحم صالة البليارد وأخذ كل شيء » .

بـدا أنها تعرف كـل التفاصيـل . شرحت كيف أن اللصـوص قد سـرقوا المكان كله ، قطعة قطعة ، حتى مائـدة البليارد حملوهـا معهم . كانت تتحـدث باقتناع تام حتى أن داماسو لم يصدق أن هذا كذب .

« خراء » ! قال وهو عائد إلى المطبخ .

راحت أنّـا تغني بين أسنـانها المطبقـة . مال دامـاسو بكـرسيّ عـلى حـائط لفناء ، محاولاً أن يكبت قلقه . منذ ثلاثة شهـور ، عندمـا بلغ سن العشرين ، كان خط شاربه الذي يشرى باحساس خفي بالتضحية وأيضاً بنـوع من الرقـة ، قد أضاف لمسة من النضج الى وجهه الذي يحمل آثار الجدري . منذ ذلك الحين بدأ يحس كأنه شخص رائد . لكن هذا الصباح ، بذكريـات الليلة السابقـة التي تطفو على مستنقع صداعه ، لم يستطع أن يعرف من أين يبدأ الحياة .

حين انتهت أنّا من المكوة وضعت الملابس النـظيفة في كـومتين متسـاويتين واستعدت للخروج .

قال داماسو : « لا تتأخري » .

ـ « عادي » .

تبعها الى داخل الغرفة . قالت أنّا « تركت قميصك المربعات هنـاك . من الأفضـل ألا تـرتـدي القميص المخـطط مـرة أخـرى » . واجهت عيني زوجهـا الصافيتين كعيني قط . « لا نعلم إذا كان أحدهم قد رآك أم لا » .

جفف داماسو عرق يديه على سرواله .

« لم يرني أحد » .

« لا نعـرف » كـررت أنّـا . كـانت تحمـل كـومـة مـلابس عـلى كـل ذراع » . . . . وأيضاً من الأحسن لك ألا تخرج . انتظر حتى أتجـول قليلاً هنـاك كما لو أني غير مهتمة » .

في المـدينـة لم يكن للنـاس حـديث آخـر . وكـان عـلى أنّـا أن تنصت إلى تفاصيل نفس الحـادث مرات عـديدة ، في روايـات مختلفة ومتنـاقضة . وعنـدما انتهت من تسليم المـلابس ، وبدلاً من الـذهاب الى السـوق كما تفعـل كل يـوم سبت ، ذهبت رأساً إلى الميدان .

وجدت أمام قاعة البليارد عدداً من الناس أقل ممـا كانت تتصـور . بعض الرجال كانوا يتحدثون في ظل شجر اللوز . وفـرش السوريـون ملاءاتهم الملونـة ليتناولوا الغذاء ، وبدت الدكاكين ناعسة تحت المظلات الملونة . وكان رجل ينام متمدداً على كرسي هزاز في ردهة الفندق وقد انفرجت شفتاه وقدماه . كل شيء كان ساكناً في قيظ الظهيرة .

واصلت أنّـا سيرهـا بجوار قـاعة اللعب ، وحـين مرت بـالأرض الفضـاء المواجهة لـرصيف السفن وجدت الجمـع . ثم تذكـرت شيئاً كـان داماسـو قـد أخبرها به ، شيئاً يعرفه كل الناس ولكن زبـائن المكان فقط يمكن أن يتـذكروه : الباب الخلفي للقاعة المواجهة للأرض الفضاء .

بعد دقيقة اختلطت بالجمهور ، وكانت تضع ذراعيها حول بطنها وعينـاها مثبتتـان على البـاب الـذي كُسـر . كـان القفـل سليـماً لم يُمس ولكن واحـدة من الرزات كانت قـد خُلعت مثل سِنّه . للحظة تـأملت أنّا التحـطيم الذي تسبب عن المجهود الفردي والمتواضع وفكرت في زوجها باحساس من الشفقة .

سألت « من الذي فعل هذا ؟ » ولم تجرؤ على النظر حولها .

أجابوها « لا أحد يعرف . يقولون غريب » .

قـالت امرأة خلفهـا « لا بد أنـه كذلـك ، فـلا يـوجـد لصـوص في هـذه المدينة . كل واحد يعرف الآخر » .

إدارت أنّا رأسها « هذا صحيح » قالت وهي تبتسم . كانت مغطاة بالعرق . وكان ثمة رجل عجوز جداً بجانبها تبدو التجاعيد واضحة خلف رقبته .

سألت « هل اخذوا كل شيء ؟ »

« مائتي بيزو ، وكرات البليياردو » . أجاب الرجل العجوز . نظر اليها باهتمام غير عادي : « سرعان ما يتوجب علينا أن ننام وعيوننا مفتوحة .

نظرت أنا بعيداً وقالت مرة ثانية « هذا صحيح » وضعت قطعة قماش على رأسها وصارت تعدل من وضعها دون أن تستطيع التخلص من الاحساس بأن الرجل ما زال ينظر اليها . لمدة ربع ساعة كان الحشد الذي تجمع يتصرف باحترام ، كما لو كان هناك ميت خلف الباب المكسور . ثم سرعان ما دب القلق بينهم فاستداروا وتدفقوا على الميدان .

كان مالك قاعة اللعب عند مقدمة الباب مع العمدة واثنين من رجال البوليس . كان قصيراً ممتلئاً لا يمسك بنطلونه سوى ضغط كرشه ، يضع نظارة مثل تلك التي يضعها الأطفال ، بدا المالك وكأنه قد وُهب كرامة وكبرياء لا حدود لها .

أحاط به الحشد . وانصتت أنّا وهي مستندة الى الحائط الى تقريره حتى بدأ الجمهور في الانصراف . ثم ، وقد ضايقها القيظ ، عادت الى غرفتها بينما كان الجيران في شبه مظاهرة صاخبة .

ممدداً على السرير ، سأل داماسو نفسه عدة مرات كيف حاولت أنّا أن تنتظره الليلة السابقة دون تدخين . حين رآها تدخل مبتسمة وهي ترفع من على رأسها قطعة القماش المبتلة بالعرق ألقى بالسيجارة التي لم يدخن منها إلا القليل على الأرض وسحقها بين أعقاب السجائر المتراصة وانتظر بقلق متزايد .

« حسن ؟ »

ركعت أنّا أمام السرير وقالت :

« حسن ، إلى جانب انك لص ، فأنت كذاب » .

ـ لماذا ؟

ـ لأنك قلت لي أنه لم يكن هناك شيء في الدرج .

ـ لم يكن هناك شيء .

ـ كانت هناك مائتا بيزو

ـ « هذا كذب » أجابها داماسو رافعاً صوته . جلس على السرير واستعاد صوته المليء بالثقة « كان يوجد فقط خمس وعشرون سنتاً » .

أقنعها . قال داماسو وهو يلوح بقبضتيه « إنه نصاب عجوز . إنه يدفعني لأحطم وجهه » ضحكت أنّا بصوت عال :

« لا تكن غبياً .

ضحك هو الآخر بصوت عال . وبينما كان يحلق ذقنه اخبرته زوجته بما استطاعت أن تكشفه . كان البوليس يبحث عن غريب . « قالوا أنه وصل يوم الخميس وأنهم رأوه الليلة الماضية يتجول حول المكان « قالت » يقولون انهم لا يستطيعون العثور عليه في أي مكان » . فكر داماسو في الغريب الذي لم يره في حياته ، وللحظة كان مقتنعاً تماماً بقصة هذا الغريب .

قالتت أنّا : « ربما هرب » .

كعهده دائماً ، كان داماسو يحتاج الى ثلاث ساعات ليرتدي ملابسه . أول شيء راح يهذب شاربه . ثم الاستحمام تحت الصنبور في الباحة . تابعت أنّا خطوة بخطوة عملية تمشيط شعره الشاقة ، تابعتها باهتمام لم يتناقص منذ أن رأته أول ليلة . حين رأته ينظر الى نفسه في المرآة قبل أن يخرج بقميصه الأحمر ، حست أنّا أنها عجوز مبهدلة . راح داماسو يتراقص أمامها بخفة ملاكم محترف . أمسكت به من رسغيه .

« هل معك أي نقود ؟ »

أجاب داماسو بمرح « أنا غني ، لقد أخذت المائتي بيزو » .

اتجهت أنّا صوب الحائط وأخرجت من صدرها رزمة من الأوراق المالية وأعطت بيزو لزوجها وهي تقول :

« خذه يا فالنتينو » .

في تلك الليلة كان داماسو في الساحة مع جماعة من أصدقائه . كان الناس الذين قدموا من الريف لبيع بضائعهم في سوق الأحد ينصبون مظلاتهم بين الأكشاك التي تبيع المقليات الفرنسية وأوراق اليانصيب، ومن بداية المساء يمكنك أن تسمع شخيرهم .

لم يكن أصدقاء داماسو مهتمين بالمرة بأمر السرقة التي حدثت في قاعة اللعب قدر اهتمامهم باذاعة مباراة البطولة في البسبول التي لم يستطيعوا سماعها تلك الليلة لأن قاعة اللعب كانت مغلقة . وفيما هم يتحدثون عن البسبول ذهبوا الى السينما دون اتفاق مسبق ودون معرفة الأفلام التي تعرض .

كانوا يعرضون فيلماً كوميدياً لكانتنفلاس(١) .

في الصف الأول من البلكون كان داماسو يضحك بلا خجل . أحس كأنه يتطهر من انفعالاته . كانت أمسية جميلة من أمسيات شهر يونيو ، وفي لحظات اختفاء الصور ، حين لا ترى سوى الضباب المشع الصادر عن آلة العرض ، كان صمت النجوم يلقي بثقله على المسرح المفتوح .

فجأة صارت الصور على الشاشة معتمة وكانت هناك جلبة في نهاية الصالة . وفي سطعة النور المفاجىء أحس داماسو أن أمره قد اكتشف ، وأنه متهم ، وحاول الجري . لكنه مباشرة رأى الجمهور في الصالة يجمد في مكانه وشرطي حزامه ملفوف حول وسطه ، يضرب رجلاً ضرباً مبرحاً بالقايش ذي الأبزميم النحاس الثقيل . كان الرجل زنجياً عملاقاً . بدأت النساء تصرخ

(١) ممثل كوميدي شهير .

وزعق الشـرطي ، الـذي كـان يضـرب الـزنجي ، في النسـاء « حـرامي ، حرامي » . هرول الزنجي بين صفوف المقاعد يطارده شرطيان كانا يضربانه على جنبيه حتى امسكا به من الخلف . ثم قام الشـرطي الذي جلده بتقييـد معصميه خلف ظهـره بحزام جلد ، ودفعـه ثلاثتهم نحـو الباب . حـدث ذلك بسـرعـة مذهلة حتى أن داماسو لم يفهم ما حدث إلا عندما مر الزنجي بجواره ، قميصـه ممـزق ووجهـه ملطخ بخليط من التـراب والعـرق والـدم ، وكـان يتمتم بـاكيـاً « قتله ، قتله » . ثم أداروا جهاز العرض واستمر الفيلم .

لم يضحـك داماسـو ثانيـة . رأى نتفاً من قصـة غير متـرابطة ، وحلقـات الدخان ، حتى أضيئت الأنوار ونظر المتفرجون الى بعضهم البعض كما لو كانـوا مرعوبين من الواقع « كان هـذا جيداً » أوضـح أحد الـواقفين بجـواره . لم ينظر داماسو تجاهه .

قال : « كانتفيفلاس رائع » حمله الـزحام الى البـاب . كان بـاعة الـطعام المتجـولون ، محملين بـالسلال ، في طـريقهم الى بيـوتهم . كـانت السـاعـة قـد تجـاوزت الحاديـة عشرة ، لكن كـان ثمة كثـير من النـاس في الشـارع ينتـظرون الخارجين من السينما ليعرفوا منهم قصة القبض على الزنجي .

في تلك الليلة دخل داماسو الحجرة على أطراف أصابعه حتى أن زوجته أنّا التي كانت نصف نائمة حين أحست به كان يـدخن سيجارتـه الثانيـة ممدداً عـلى السرير .

« الطعام على الموقد » .

تنهدت أنّا : « حلمت أن نـوراً تعمل عـرائس من الزبـد » قالت دون أن تنهض ، فجـأة تحققت أنها راحت في النـوم دون ارادتهـا ، واستـدارت صـوب داماسو وحملقت وهي تدعك عينيها . . قالت :

« لقد قبضوا على الغريب » .

انتظر داماسو قبل أن يتكلم :

« من قال ؟ » .

ردت أنّا : « أمسكوه في السينما ، كل الناس هناك » .
وحكت رواية مشوهة عن القبض . ولم يصحح داماسو كلامها .
تنهدت أنّا : « يا له من رجل مسكين ! » .

احتج داماسو بكراهية :

« مسكين لماذا ؟ اذن فكنت تفضلين ان أكون أنا الذي وقعت في أيديهم » كانت تعرفه جيداً وتعرف كيف تجيبه . أحست بـه يدخن ، يتنفس مثـل مريض الربو ،حتى أول خيوط الفجر . ثم أحست به خارج السريـر يقلب الغرفـة رأساً على عقب في ملاحقة غامضة وبدا أنه يعتمد عـلى اللمس اكثر من البصـر . ثم أحست بـه يكشط الأرض تحت السريـر لأكثر من ربـع سـاعـة ، ثم وهـو يخلع ملابسه في الظلام ، محاولاً ألا يحدث ضجة ، دون أن يتحقق من أنها لم تتـوقف عن مساعدته بأن جعلته يظن أنها نائمة . تحـرك شيء ما في حـواسها المغـرقة في البـدائية . عـرفت أنّا الآن أن دامـاسو كـان في السينما ، وفهمت لمـاذا دفن لتوه كرات البليارد تحت السرير .

فُتحت قاعة اللعب يوم الاثنين وأمها الزبائن .

كانت مائدة البليارد قـد غطيت بقمـاش ارجواني أضفي عـلى المكان جـواً جنائزياً . عُلقت على الحائط ورقةٌ كُتب عليها « لاكرات ، لابليارد » جاء الناس ليقرأوا هذه الورقة كـأنها اخبار . بعضهـم وقف أمـامها مـدة طويلة ، يقـرأها في ورع غامض .

كان داماسو بين الزبائن الأول . لقـد أنفق جزءاً من حيـاته عـلى المقاعـد التي رُصت عـلى الجانبـين للمتفرجـين وكان هنـاك منذ اللحـظة التي فُتحت فيها الأبواب . كان أمراً صعباً لكنه تلقائي كواجب العزاء . ربت على ظهر صـاحب المحل عبر الكاونتر ، وقال :

« يا له من أمر مؤلم يا روك » .

هز صاحب المحل رأسه بابتسامة صغيرة مرسومـة ، وتنهد قـائلاً : « هـذا

صحيح » . وظل في انتظار الزبائن بينما راح داماسو معتمداً على واحد من كراسي الكاونتر ، يرقب المائدة الشبحية تحت كفنها الأرجواني .

قال « يا له من أمر غريب » .

« هذا لصحيح » ، وافق رجل على المقعد المجاور يبدو وكأننا في الأسبوع المقدس » .

عندما ذهبت غالبية الزبائن لتناول الغذاء وضعَ داماسو قطعة نقود في صندوق الفوتوغراف والتقط اسطوانة لمغنية مكسيكية يحفظها عن ظهر قلب . كان روك ينقل المناضد والكراسي الى نهاية الصالة .

سأل داماسو : ماذا تفعل ؟

أجاب روك : إني أرتب المكان للعب الورق . يجب أن أفعل شيئاً حتى تأتي الكرات .

كان يتحرك في تردد ممسكاً بكرس في كلتا يديه فبدا مثل أرمل فقد زوجته مؤخراً .

سأل داماسو : « ومتى ستأتي الكرات ؟ »

ـ « خلال شهر على ما أرجو »

قال داماسو : « في هذه الأثناء ستظهر الكرات الأخرى مرة ثانية » .

ألقى روك نظرة ارتياح على صف المناضد الصغيرة ، وقال وهو يجفف جبهته بكمه . « لن تظهر ثانية ، إنهم يعذبون الزنجي بمنع الطعام عنه منذ أسبوع ومع ذلك فهو يرفض أن يقول أين الكرات » . ثم رمق داماسو بنظرة من خلال نظارته المغبشة بفعل العرق . « أنّا متأكد أنه ألقاها في النهر » .

عض داماسو على شفتيه .

ـ« والمائتا بيزوس ؟ »

أجاب روك : « وهي أيضاً . لم يجدوا معه سوى ثلاثين » .

تلاقت نظراتهما . لم يستطع داماسو أن يفهم سر انطباعه بـأن هذه النـ
أقامت بينه وبين روك علاقة اشتراك في الجريمة . في ذلك المساء رأتـه أنّا ، و
في المغسلة ، عائداً الى البيت يرقص مثل ملاكم . تبعته الى الحجرة .

قال داماسو : « كل شيء على ما يـرام . الرجـل العجوز مستسلم تم
حتى أنـه طلب شراء كـرات جديـدة . الآن هي مجرد مسـألة انتـظار حتى ينـ
الجميع » .

- « والزنجي ؟ »

أجابها داماسو هازاً كتفيه « لا شيء . إذا لم يجـدوا الكرات فسـوف يكـ
عليهم أن يطلقوا سراحه » .

بعد الأكل ، جلسا خارج الباب الأمامي وكانا يتحـدثان مـع الجيران -
سكت مكبـر الصوت في السينـما . وعندمـا ذهبـا الى الفـراش ، كـان دامـا
منفعلاً . قال :

« شيء مروع حدث لي »

أيقنت أنّا أنه كان يقلب الفكرة في رأسه منذ الغسق .

واصل داماسو كلامه قائلاً « سأسافر من مدينة الى مـدينة . أسـرق كر
البلياردو من مدينة وأبيعها في المدينة التالية . كل مدينة فيها قاعة للعب .

- « حتى يردوك قتيلاً »

- « قتل ، أي قتل ؟ إنك ترين هـذا في السينما فقط » . مـزروعاً في و
الغرفة ، كان يكتم حماسه .

أخذت أنا تخلع ملابسها ، وبـدت غير مبـالية ، ولكنهـا في الحقيقة كـا
تنصت له باهتمام ممزوج بالشفقة .

« سـأشتري صفـاً من البدل» قـال داماسـو مشيراً الى دولاب خيـالي بط
الحائط . من هنا الى هنا . وكذلك خمسين زوجاً من الأحذية .

قالت أنا « إن شاء الله »

حدجها داماسو بنظرة جادة :

-« انت لست مهتمة بشئوني » .

- « انها بعيدة كل البعد عني » .

قالت أنّا هذا ثم أطفأت المصباح ، ورقدت بجوار الحائط ، وأضافت بمرارة واضحة ، « عندما تبلغ الثلاثين سأكون أنّا في السابعة والأربعين من عمري » .

قال داماسو « لا تكوني سخيفة » تحسس جيوبه بحثاً عن الكبريت » سوف ترتاحين من غسيل الملابس ايضاً » .

قال هذا بنوع من الارتباك . اشعلت أنا له عود ثقاب . نظرت الى اللهب حتى احترق عود الثقاب والقته على الأرض . تمددت على السرير ، وواصل داماسو حديثه :

« هل تعرفين مما تُصنع كراتُ البليارد ؟ » .

لم تجب أنا . واصل هو كلامه « من أنياب الفيل ، من الصعب الحصول عليها ، حتى أنه يلزم شهر لتأتي . هل تتصورين ؟ » .

قاطعته أنّا : « اذهب لتنام ، يجب أن أصحو في الخامسة » .

كان داماسو قد عاد لحالته الطبيعية . امضى الصباح في السرير يدخن ، وبعد القيلولة بدأ يستعد للخروج . في الليل استمع من الراديو الى اذاعة مبارة البطولة في البسبول في قاعة اللعب . كانت لديه القدرة لنسيان مشروعاته بنفس الحماس الذي دفعه للتفكير فيها .

في يوم السبت سأل زوجته « هل لديك أية نقود ؟ « أجابت : « احدى عشر بيزو » ثم أضافت بهدوء « انها الإيجار » .

- « سأعقد معك صفقة » .

- « ماذا ؟ »

ـ « اقرضيني اياها » .
ـ « لا بد أن ندفع الايجار »
ـ « سندفعه فيما بعد » .

هزت أنا رأسها : أمسك داماسو بمعصمها ومنعها من النهوض من جانب المنضدة حيث تناولا تواً طعام الأفطار . قال وهو يربت ذراعها برقة شتتت وعيها « عندما أبيع الكرات سيكون لدينا نقود تكفي لكل شيء » .

لم تستسلم أنّا .

في تلك الليلة اخذها داماسو الى السينما ولم يرفع يده عن كتفها حتى عندما كان يتكلم مع أصدقائه اثناء الاستراحة . رأيا نتفاً من الفيلم . وعندما انتهى ، كان داماسو نافذ الصبر .

قال « اذن على أن أسرق النقود » .

هزت أنا كتفيها . قال داماسو وهو يدفعها وسط حشد الناس الخارجين من السينما : « سأضرب أول شخص أجده بهراوة حينئذ سيأخذونني الى الحبس بتهمة القتل » .

ابتسمت أنّا في داخلها . لكنها بقيت جامدة . في الصباح التالي ، بعد ليلة عاصفة ، ارتدى داماسو ملابسه في سرعة ملحوظة ومنذرة بالسؤ . مر قريباً من زوجته ودمدم :
« لن أعود أبداً » .
لم تستطع أنا أن تقاوم رجفة خفيفة ألمت بها .
صاحت فيه « أتمنى لك رحلة طيبة ! »

بعد أن صفق الباب بدأ يوم أحد فارغ وبلا نهاية بالنسبة لداماسو . في السوق العامة .

أضفت الأواني الفخارية اللامعة والنساء ذوات الملابس الزاهية اللائي كن

خارجات ، مع أطفالهن من قداس الساعة الثامنة ، أضفت لمسة سعادة على الميدان ، لكن الهواء كان قد بدأ يثقل بفعل الحرارة .

انفق اليوم في قاعة اللعب . كانت مجموعة من الرجال يلعبون الورق في الصباح ، وقبل الغذاء دخل عدد قليل من الزبائن . لكن كان واضحاً ان المحل قد فقد جاذبيته . فقط عند الغسق ، وحين بدأ يذاع برنامج البيسبول ، استعاد جزءاً من حركته القديمة .

بعد أن اغلقوا القاعة ، لم يجد داماسو مكاناً يذهب اليه في الميدان الذي بدا الآن خاوياً . سار في الشوارع المتوازية المؤدية الى الميناء ، متتبعاً صوت موسيقي مرحة قادمة من بعيد . في نهاية الشارع كانت ثمة صالة رقص كبيرة وخاوية ومكسوة بأكاليل من الورق الذابل ، وفي مؤخرة القاعة ثمة فرقة موسيقية على منصة خشبية . كانت رائحة الماكياج الخانقة تغطي المكان .

جلس داماسو على البار ، وعندما انتهت المقطوعة الموسيقية راح الصبي الذي لعب على الصاجات في الفرقة يجمع النقود من الرجال الذين كانوا يرقصون . تركت فتاة شريكها في وسط القاعة واقتربت من داماسو . « ما الأخبار يا فالينتينو ؟ » قدم لها داماسو كرسياً بجانبه .

جاء الساقي وقد غطت وجهه المساحيق وزهرة قرنفل على أذنه وسأل بصوت متكلف :

ـ « ماذا تشربان ؟ »

اتجهت الفتاة نحو داماسو.

ـ « ماذا سنشرب ؟ »

ـ « لا شيء » .

ـ « على حسابي » .

قال داماسو : « ليس هذا قصدي . . إني جوعان » .

« مسكين ! » تنهد الساقي « بهاتين العينين » .

ذهبا الى حجرة الطعام في نهاية القاعة . بدت الفتاة بجسدها الممشوق شابة للغاية ، لكن طبقة المسحوق والأحمر والطلاء على شفتيها جعل من الصعب معرفة عمرها الحقيقي . بعد أن تناولا الطعام ، تبعها داماسو الى حجرة خلف الساحة المعتمة حيث كان بامكانهما سماع تنفس الحيوانات النائمة . كان السرير مشغولاً ، وكان ثمة طفل مغطى بمزق ملونة . وضعت الفتاة المزق في صندوق خشبي ، ثم وضعت الطفل داخلة ، ثم وضعت الصندوق على الأرض .

قال داماسو :

ـ « ستأكله الفئران » .

« لا ، لن تأكله » .

غيرت فستانها الأحمر وارتدت آخر له فتحة صدر أوسع وبه زهور صفراء .

سأل داماسو :

ـ« من الأب ؟ »

ـ « ليس عندي أي فكرة » . ثم اضافت وهي عند الباب « سأعود حالاً ! » .

سمعها تغلق الباب . دخن عدة لفافات ، تمدد على ظهره بملابسه . اهتزت يايات السرير . لم يدر متى نام . حين استيقظ ، بدت الحجرة أكبر في غياب الموسيقى . كانت الفتاة عارية بجوار السرير .

« كم الساعة ؟ »

ـ « حوالي الرابعة » أجابت الفتاة « هل بكى الطفل ؟ »

ـ « لا أظن » . أجاب داماسو .

استلقت الفتاة لصقه ، وهي تمعن النظر فيه ، استدارت قليلاً فيما هي تفك أزرار قميصه . أيقن داماسو أنها شربت كثيراً . حاول أن يطفىء النور .

ـ « دعه لا تطفأه . . أُحب أن أنظر في عينيك » .

منذ الفجر فصاعداً امتلأت الحجرة بالضوضاء . بكى الطفل . أخذته البنت الى السرير وأرضعتْ . وهي تهمهم له بأغنية حتى ناموا جميعاً . لم يلحظ داماسو أن الفتاة استيقظت حوالي السابعة ، تركت الحجرة ، ثم عادت بدون الطفل .

قالت « كل الناس ذاهبة الى الميناء » . أحس داماسو كما لو أنه لم ينم أكثر من ساعة واحدة طوال الليل .

ـ « لماذا ؟ »

« ليروا الزنجي الذي سرق الكرات ، سيرحلونه اليوم » .

أشعل داماسو سيجارة .

« يا له من مسكين » تنهدت الفتاة .

« لماذا مسكين ؟ » ، سأل داماسو .

« أن أحداً لم يجعله لصاً » .

فكرت الفتاة للحظة ورأسها على صدره ، وبصوت خافت للغاية قالت :

ـ « لم يكن هو الذي سرق »

ـ« من قال ذلك ؟ »

ـ « اعرف هذا . في الليلة التي اقتحم فيها اللصوص قاعة اللعب، كان الزنجي مع جلوريا ، وامضي اليوم التالي كله في حجرتها ، تقريباً حتى حلول الليل ، ثم جاؤ وا ليقولوا أنهم قد ألقوا القبض عليه في السينما » .

ـ « جلوريا تستطيع أن تقول ذلك للشرطة » .

ـ « الزنجي قال لهم ذلك . العمدة ذهب الى جلوريا بقلب حجرتها رأساً على عقب ، وقال أنه كان سيأخذها الى الحبس كشريك في الجريمة . وأخيراً ينتهي الأمر الى عشرين بيزو » .

استيقظ داماسو قبل الثامنة . قالت الفتاة « ابق هنا ، سوف اذبح دجاجة للغذاء » .

ضرب داماسو المشط في راحة يـده قبل أن يضعهـا في جيبه الخلفي . « لا أستـطيع » قـال وهو يمسـك بالفتـاة من رسغيها ويـديرهـا ناحيتـه . لقد غسلت وجهها ، وكانت حقاً صغيرة جداً ، لها عينان سوداوان كبيـرتان . لفت ذراعيهـا حول وسطه .

« ابقي هنا » . أصرت .

ـ « إلى الأبد ؟ » .

اكتسى وجهها بحمرة خفيفة ، وانسحبت .

قالت : « مهرج » .

كانت أنّا منهـوكة القـوى في هذا الصبـاح . لكن ضجة المـدينة وهيـاجها كـانت للصقها . بـأسرع من المعتـاد جمعت ملابس الغسيـل لذلـك الأسبـوع ، وذهبت الى الميناء لتشاهد رحيل الزنجي . كان ثمة حشد نافذ الصبر ينتظر قرب القوارب البخارية التي كانت مستعدة للابحار . كان دامـاسو هنـاك . لكزتـه أنّا بأصابعها في جنبه

« ماذا تفعلين هنا ؟ سأل داماسو فزعاً .

ـ « جئت لأودعك » .

ـ « عليك اللعنة » .

بعد أن اشعل سيجارة رمى العلبة الفارغة في النهر .

أخرجت أنّا علبة أخرى من قميصهـا ووضعتها في جيب قميصـه . ابتسم داماسو للمرة الأولى . قال : « لن تتعلمي أبداً » .

ضحكت أنّا .

بعـد قليل وضعـوا الزنجي في القـارب . أخذوه عبـر الميـدان ، ورسغـاه مقيـدان خلف ظهره بحبـل يمسك بـه رجل شـرطـة . اثنـان آخـران من رجـال الشرطة مسلحان بالمسدسات مشياً الى جواره . كـان بلا قميص ، شفتـه السفلى مدلاة ، وأحد حـاجبيه مـرتفع ، مثـل ملاكم . عـلى باب قـاعة اللعب ، حيث

تجمع الجانب الأكبر من الجمهور يشهد نهاية العرض ، شهده المالك يمر وهو يهز رأسه في صمت . والباقون لاحظوه بنوع من الشغف .

انطلق الزورق البخاري بغتة . كان الزنجي على سطحه ،ويداه وقدماه مقيدة الى برميل زيت .وعندما استدار الزورق في وسط النهر وأطلق صفارته الأخيرة ، بدا ظهر الزنجي للجمهور .

« يا للرجل المسكين » . همست أنّا . قال شخص بجانبها « مجرمون ، أي إنسان لا يستطيع تحمل مثل هذه الشمس » .

حدد داماسو مكان الصوت القادم من امرأة مفرطة السمنة بشكل غير عادي ، وبدأ يسير صوب الميدان . همس في أذن أنّا « إنك تتكلمين كثيراً . والآن ما عليك إلا أن تصرخي وتحكي القصة كلها » . صحبته الى باب قاعة اللعب .

قالت له وهي تغادره : « على الأقل إذهب الى البيت لتغير ملابسك . إنك تبدو مثل الشحاذين » .

دلف جميع من الجمهور المستثار الذي شهد ما حدث الى قاعة اللعب . حاول روك ان يلبي طلباتهم جميعاً فكان يخدم عدة موائد في وقت واحد .

انتظر داماسو حتى مر بجانبه :

« هل تريد مساعدة ؟ »

وضع روك ست زجاجات بيرة أمامه مع أكواب مقلوبة .

ـ « شكراً يا بني » .

أخذ داماسو الزجاجات الى الموائد . تلقى عدة طلبات من الزبائن ، واستمر في تلقي الطلبات واحضار الزجاجات حتى غادر الزبائن المكان لتناول الغذاء . في الصباح الباكر ، حين عاد الى الحجرة ، تحققت أنّا أنه كان شرب . أخذت يده ووضعتها على بطنها .

قالت « هنا ، ألا تحس به ؟ »

لم يبد داماسو أي بادرة حماس .

قالت أنّا : « إنه يرفس الآن . إنه يقضي الليل كله يرفسني رفسات صغيرة بالداخل » .

لكنه لم يبد أي رد فعل . مركزاً اهتمامه على نفسه ، خرج مبكراً في اليوم التالي ولم يعد حتى منتصف الليل . مر أسبوع على هذا الحال . في اللحظات القليلة التي أمضاها في البيت ، مدخناً في السرير ، تجنب المحادثة . ركزت أنّا انتباهها . في بداية حياتهما معاً ، وفي مناسبة معينة ، كان يسلك بنفس الطريقة ، وحينئذ لم تكن قد عرفته بما فيه الكفاية كي لا تضايقه ، في السرير فتح ساقيها وضغط عليها وجعلها تنزف .

هذه المرة انتظرت . في الليل وضعت علبة سجائر بجانب المصابح ، وهي تعرف انه يستطيع تحمل الجوع والعطش ولكنه لا يتحمل الحاجة الى التدخين .

وأخيراً ، في منتصف يوليو ، عاد داماسو الى الحجرة عند الغسق . أصبحت أنّا عصبية ، وقد فكرت أنه لا بد أن يكون في حالة صعبة حتى يأتي ليبحث عنها في هذه الساعة . تناولا الطعام في صمت . لكن قبل الذهاب الى الفراش كان داماسو متعباً ورقيقاً ، وعلى نحو غير متوقع قال :

- « أريد أن أرحل » .

- « إلى أين ؟ »

- « الى أي مكان » .

نظرت أنّا في أرجاء الغرفة . أغلفة المجلات التي قصتها بنفسها وألصقتها على الجدران حتى غُطيت تماماً بصور نجوم السينما بهتت وصارت بلا لون . لقد فقدت عدداً من الرجال الذين ، بعدما أطالوا النظر الى هذه الصور وهم في السرير ، اختفوا تدريجياً وأخذوا معهم هذه الألوان .

قالت : « أنت تشعر بالضجر معي » .

ـ « ليس هذا ، إنها هذه المدينة » .

ـ « إنها مثل أي مدينة أخرى» .

ـ « لا أستطيع بيع الكرات » .

ـ « دع الكرات وشأنها . طالما أن الله يعطني القوة لأعمل في الغسيل فلن تحتاج للدوران بحثاً عن فرص « وبعد لحظة صمت أضافت برقة :

« لا أعرف كيف فعلت هذا » .

أنهى داماسو سيجارته قبل أن يتكلم :

« لقد كان سهلاً للغاية حتى أنني لا أستطيع أن أفهم لماذا لم يفعلها أحد من قبلي » .

قالت أنّا : « من أجل النقود . لكن أحداً لا يمكن أن يكون من الغباء بحيث يسرق الكرات » .

قال داماسو : « لقد فعلتها دون تفكير . كنت أغادر المكان حين رأيت الكرات خلف الكونتر في الصندوق الصغير ، وظننت أنه من السخف أن آتي خالي الوفاض » .

قالت أنّا : هذه كانت غلطتك » .

أحس داماسو بالارتياح . قال : « وفي نفس الوقت فإن الكرات الجديدة لم تصل . أرسلوا يقولون أنها الآن أغلى ثمناً . وقال روك إنه ألغى الطلب . » . أشعل سيجارة أخرى ، وفيما كان يتحدث ، أحس أن قلبه يتحرر من حمل ثقيل .

أخبرها أن المالك قد قرر أن يبيع مائدة اللعب . إنها لا تساوي الكثير . المفرش ، وقد مزقته ضربات خرقاء من اللاعبين الجدد ، قد أُصلح برقع مختلفة الألوان ويلزم تغييره كلية . وفي نفس الوقت فان زبائن القاعة الذين شبوا على لعب البليارد ، وليس لديهم الآن تسلية أخرى فيما عدا سماع اذاعة مباريات البيسبول من الراديو .

وأنهى داماسو كلامه قائلاً : « وهكذا ، دون أن نريد ، آذ يناكل المدينة »

قالت أنّا : « بلا مقابل » .

ـ « الأسبوع القادم ستنتهي مباريات البطولة » .

ـ « وليس هذا أسوأ ما في الأمر ، أسوأ ما في الموضوع هو الزنجي » .

مستلقية على كتفيه ، مثلما كان في الأيام الخوالي ، عرفت فيما كان زوجها يفكر . انتظرت حتى انتهى من السيجارة . ثم ، بصوت حذر ، قالت :

ـ « داماسو » .

ـ « ما الأمر ؟ »

ـ « أعدها » .

أشعل سيجارة أخرى. وقال :

ـ « هذا ما كنت أفكر فيه منذ عدة أيام . لكن الشيء الوسخ في الموضوع انني لا أتصور كيف يمكن تنفيذ هذا » .

وهكذا قررا أن يتركا الكرات في مكان عام . ثم فكرت أنّا أنه بينما يحل هذا مشكلة قاعة اللعب ، فانه يترك مشكلة الزنجي بغير حل . فالشرطة تستطيع تفسير وجود الكرات تفسيرات عديدة ، دون تبرئته . كما أنها ـ أنّا ـ لم تنس امكانية أن يجد شخص ما الكرات وبدلاً من إعادتها يحتفظ بها لبيعها .

وانتهت أنّا الى القول : « حسن ، طالما سنعمل شيئاً فمن الأحسن عمله بالطريقة الصحيحة » .

حفرا الأرض وأخرجا الكرات . لفتهم أنا في ورق جرائد ، مراعية ألا تكشف اللفة عن شكل المحتويات ، ثم وضعتها في صندوق الملابس .

قالت « يجب أن ننتظر الفرصة المناسبة » .

لكنهما امضيا أسابيع في انتظار الفرصة المناسبة . وفي ليلة العشرين من أغسطس ـ شهران بعد السرقة ـ وجد « أماسو روك جالساً خلف الكاونتر يهش البعوض بمروحة . ومع صمت الراديو بدت وحدته مكثفة .

« قلت لك . . » أوضح روك بنـوع من الفرحـة لنبوئـة التي تحققت » . . لقـد ذهب العمـل الى الجحيم » . وضـع دامـاسـو قـطعـة نقـود في صنـدوق الاسطوانات . بدا صوت الموسيقى الصاخب له كأنه دليل صـارخ على ولائـه . لكن تكوّن لديه إحساس بأن روك لم يلاحظ هذا . حينئذ جذب كرسيـاً وحاول أن يعزيه بحجج متخبطة فنـدها المـالك بـلا إحساس وذابت مـع ايقاع مـروحته الـلامبالي . كـان يقول « لا شيء يمكن عمله ، وبـطولة البيسبـول لا تستمر الى الأبد » .

ـ « ولكن الكرات قد تظهر » .

ـ « لكن تظهر » .

ـ « لا يمكن أن يكون الزنجي قد أكلها »

ـ « بحث البوليس في كل مكان ، لقد ألقاها في النهر » .

ـ « قد تحدث معجزة » .

ـ « انس أوهـامـك يـا ابني ، إن سؤ الحظ يشبـه الحلزون ، هـل تؤمن بالمعجزات ؟ »

ـ « احياناً » .

حين ترك داماسو المكـان ، لم تكن عروض السينـما قد انتهت بعـد . كان حوار الفيلم الممطوط والمكسر يتردد صداه في المدينة المظلمة ، وكانت ثمة أسباب للبيوت القليلة التي ظلت مفتوحة .

سار داماسو للحظة في اتجاه السينما . ثم ذهب الى صالة الرقص .

كـانت الفرقـة تعزف لـزبون أعـرب كـان يـرقص مـع امـرأتـين في نفس الـوقت . أما الآخـرون الذين جلسـوا بجانب الحـائط فقـد بـدا انهم ينتـظرون البريد . جلس داماسو عـلى إحدى المـوائد ، وأشـار الى عامـل البار ليحضـر له بيرة ، وشربها من الزجـاجة مـع وقفات قصيـرة ليتنفس ، وكان يـراقب الرجـل الذي يرقص مع المرأتين ، كان أقصر منهما .

في منتصف الليل وصلت النساء اللائي كُن في السينما يلاحقهن عدد من الرجال . صديقة داماسو التي كانت معهم تركت الآخرين وجلست الى مائدته .

لم ينظر داماسو اليها ، كان قد شرب ست زجاجات بيرة وظل يحملق في الرجل ، الذي كان في ذلك الوقت يرقص مع ثلاث نساء لكن دون أن يعيرهن أي انتباه ، ويتسلى بحركات قدميه المعقدة . بدا سعيداً ، وكان من الواضح أنه سيبدو أكثر سعادة لو كان له ، بالاضافة الى ذراعيه وساقيه ، ذيل .

قال داماسو : « أنا لا أحب هذا الجدع »

قالت الفتاة « اذن لا تنظر اليه » .

طلبت شراباً من الساقي . بدأت حلبة الرقص تمتلىء بالرجال والنساء ، لكن الرجل ذا النساء الثلاث ظل كما لو أنه الوحيد في القاعة . في إحدى الدورات تقابلت عيناه مع عيني داماسو وبذل جهداً أكبر في الرقص ، وأظهر له ابتسامة بأسنانه التي تشبه اسنان الأرنب . ثبت داماسو نظرته دون أن تطرف له عين ، حتى غضب الرجل وأدار له ظهره .

قال داماسو « يظن أنه سعيد جداً » .

قالت الفتاة « إنه سعيد جداً . كل مرة يأتي الى المدينة يدفع بسخاء لفرقة الموسيقى مثل كل الوكلاء المتجولين » .

حول داماسو عينيه نحو الفتاة .

- « إذن اذهبي اليه . حيث يوجد مكان لثلاثة يوجد مكان لأربعة » .

دون أن تجيب حولت وجهها صوب حلبة الرقص ، وهي تشرب رشفات بطيئة . كان الرداء الأصفر الشاحب إطاراً لوجهها الذي غمرته حمرة الخجل .

رقصا معاً على اللحن التالي . وحين انتهى كان داماسو يغمغم . قالت له الفتاة وهي تقوده نحو الكاونتر » إني أموت جوعاً ، وأنت أيضاً يجب أن تأكل . » كان الرجل السعيد قادماً من الاتجاه المقابل مع النساء الثلاثة .

« اسمع » قال له داماسو .

ابتسم الرجل له دون أن يتوقف . ترك داماسو ذراع رفيقته واعترض طريقه .

« أنا لا أحب أسنانك » .

شحب وجه الرجل لكنه ظل يبتسم. ثم قال « وأنا أيضاً » .

قبل أن تستطيع الفتاة التدخل ، كان داماسو قد لطمه على وجهه وجلس الرجل في وسط الحلبة . لم يتدخل أحد من الزبائن . أمسكت النساء الثلاثة بداماسو من وسطه وهن يصرخن بينما كانت رفيقته تدفعه نحو نهاية القاعة . نهض الرجل ، ووجهه مضطرب من أثر اللطمة . قفز مثل قرد الى وسط الحلبة وصاح :

« استمروا في الموسيقى » .

حوالي الثانية صباحاً كانت القاعة خاوية تقريباً ، وبدأت النساء ، اللائي بلا زبائن ، في تناول الطعام . كان الجو حاراً . أحضرت الفتاة طبق أرز بالفاصوليا واللحمة المحمرة الى المائدة ، وأكلته بالملعقة . راقبها داماسو بنوع من الذهول والخدر . قدمت له ملعقة أرز « افتح فمك » .

خفض داماسو ذقنه الى صدره وهز رأسه . قال « هذا للنساء . نحن الرجال لا نأكل » .

كان عليه أن يعتمد بيديه على المائدة لكي ينهض . وحين استعاد توازنه كان ساقي البار أمامه عاقداً ذراعيه على صدره :

« وصل الحساب الى تسعة وثمانين . هذه الحفلة ليست على حساب المحل » . دفعه داماسو جانباً وهو يقول « أنا لا أحب الشواذ جنسياً » .

جذبه عامل البار من كمه ، لكن ، باشارة من الفتاة تركه يمر وهو يقول :

« إنك لا تعرف ما الذي ستفقده » .

تعثر داماسو في الخارج. البريق الغامض للنهر فتح في ذهنه أخدوداً من صفاء الفكر . لكنه أُغلق في الحال . حين رأى باب حجرته ، في الجانب الآخر من المدينة ، تأكد داماسو أنه مشى وهو نائم . هز رأسه . تأكد ، بطريقة غامضة ولكن مُلحة أن عليه من هذه اللحظة فصاعداً أن يراقب كل حركة من حركاته . دفع الباب محاذراً ألا تحدث مفصلات الباب صوتاً .

أحست به أنّا وهو يبحث في صندوق الملابس . استدارت صوب الحائط لتتجنب ضوء المصباح ، لكنها في تلك اللحظة تأكدت أن زوجها لم يكن يخلع ملابسه .

لحظة حدس جعلتها تجلس في السرير .

كان داماسو بجانب الصندوق ، وفي يديه الربطة التي تحوي الكرات والمصباح اليدوي .

وضع سبابته على شفتيه .

قفزت أنا من السرير . « أنت مجنون . . » غمغمت وهي تجري نحو الباب . أغلقت الرتاج بسرعة . وضع داماسو المصباح في جيب منطاله مع السكين الصغير وبعض المبارد المسنونة وتقدم صوبها متأبطاً الربطة . اعتمدت أنّا بمؤخرتها على الباب .

« لن تخرج من هنا طالما أنا على قيد الحياة » . قالت بسرعة . حاول داماسو أن يدفعها جانباً : « ابعدي » أمسكت أنّا بمقبض الباب بكلتا يديها . نظر كل منهما في عين الآخر دون أن يطرف له رمش . همست أنّا : « إنك جحش ، وما أعطاه لك الله من جمال في مظهرك أخذه من عقلك . « امسك بها داماسو من شعرها ، لوى رسغها ، بحيث صار تحت رأسها : وبأسنان مطبقة قال « قلت لك ابعدي » . نظرت أنّا اليه من طرف عينها ، مثل ثور تحت النير . للحظة أحست أنها محصنة ضد الألم وأنها أقوى من زوجها ، لكنه ظل يلوي شعرها حتى خنقتها الدموع :

« إنك تقتل الطفل الذي في بطني » .

سحب داماسو ، أو بالأصح حمل جسدها الى السرير . وحين رفع يديه عنها ، قفزت على ظهره، ولفت ساقيها وذراعيها حوله ، وسقط الاثنان على السرير . كان العرق قد بدأ يتصبب منها . همست أنّا في أذنه « سأصرخ ، لو تحركت سأصرخ » .

شخر داماسو في غضب وهو يضرب ركبتيها بصرة الكرات . أطلقت أنّا صرخة وفكت ساقيها لكنها تشبثت بوسطه لتمنعه من الوصول الى الباب . ثم بدأت تستعطفه .

« أعدك أني سوف آخذها بنفسي غداً » سأعيدها الى مكانها لذلك لن يلحظ أحد » . وفيما يقترب داماسو من الباب كان يضرب يديها بالكرات . كانت تتركه للحظة لتتغلب على الألم . ثم تمسك به مرة أخرى وتستمر في الاستعطاف : «أستطيع أن أقول أنها تخصني ، لا يستطيعون أن يضعوك في الحبس بأي حال » .

هزها داماسو . قال أنّا : « كل المدينة سوف تراك . إنك غبي ولم تلاحظ ان القمر بدر ساطع » . جذبته ثانيةقبل أنيفتح الباب . ثم ، وهي مغمضة عينيها ، راحت تكيل له الكلمات على رقبته ووجهه ، وهي تصرخ : « حيوان ، حيوان » .

حاول داماسو تفادي اللكمات وتشبثت هي بالرتاج وأخذته من بين يديه .

وجهت لكمة الى رأسه . حاول داماسو أن يتفاداها ، وارتطم الرتاج بعظمة كتفه فأحدث صوتاً كما لو أنه على لوح زجاج .

صاح : « عاهرة » .

في هذه اللحظة لم يكن مبالياً ألا يحدث ضجة . ضربها على اذنها بظهر

قبضته ، وأحس بالصرخة العميقة واصطدام جسـدها القـوي بالحـائط ، لكنه لم ينظر اليها . ترك الحجرة دون ان يغلق الباب .

ظلت أنّـا جالسـة على أرض الغـرفة ، مخـدرة بفعـل الألم ، وانتـظرت أن يحدث شيء في بطنها . نادوها في الجانب الآخـر للحائط بصـوت كأنـه قادم من خلف القبور . غضت شفتيها لكي لا تصـرّخ . ثم نهضت وارتدت مـلابسها . لم يـرد في ذهنها ـ كـما لم يرد في المـرة الأولى ـ أن دامـاسـو ربمـا مـا يـزال خـارج الحجرة ، يقول لنفسـه ان الخطة قـد فشلت ومنتظراً إيـاها أن تخـرج صارخـة . وقعت في نفس الخـطأ للمـرة الثـانيـة : بـدلاً من أن تـلاحق زوجهـا ، ارتـدت حذائها ، أغلقت الباب ، وجلست على السرير تنتظر .

فقط حـين أُغلق الباب فهم دامـاسو أنـه لا يستطيـع العودة الى الغـرفة . لاحقـه نباح الكـلاب حتى نهاية الشـارع ، بعد ذلـك كان ثمـة صمت كصمت الأشباح . كانت خطواته تحدث صوتاً عالياً وغريباً في شوارع المدينة النـائمة . لم يتنبـه لنفسه حتى وصـل الى قطعـة الأرض الخـاليـة عنـد البـاب الخلفي لقـاعـة اللعب .

هذه المرة لم يكن بحـاجة الى استخـدام مصباح اليـد . لم تُضفْ دعامـات جديدة للباب فيما عدا الجزء الذي تقع فيـه الرزة المكسـورة . لقد نـزعوا قـطعة خشب في حجم وشكل قالب الطوب ، ووضعوا مكانها قطعـة خشب جديـدة ، ثم أعادوا تركيب الرزة القديمة . أما الباقي فكما هو . جذب داماسو القفـل بيده اليسرى ، ووضع نهاية مبرد بين ساقي الرزة ثم راح يحرك المبرد للأمـام والخلف مثـل رافعة الفتيس ، بقـوة ولكن بـدون عنف ، حتى تكسـر الخشب وتنـاثـرت شظاياه . قبـل أن يدفـع الباب ، رفعـه قليلاً ليقلل من ضجـة احتكاكـه بطوب الأرضيـة . فتح البـاب الى نصفه فقط وأخيـراً خلع حذائـه ، وضعه مـع ربـطة الكرات ، وهو يرسم الصليب ، دخل الحجرة يغمره ضوء القمر .

أمامه مباشرة كان ثمة ممر مظلم مكتظ بالزجاجات والصنـاديق الفارغـة .

على مبعدة يسيرة ، وتحت ضوء القمر ، توجد مائدة البليارد ، ثم ظهر الكبائن ، وأخيراً المناضد الصغيرة والكراس مكومة خلف الباب الأمامي . كل شيء كان كما هو مثل المرة الأولى ، فيما عدا ضوء القمر والصمت الهش الذي يخيم على المكان .

أحس داماسو ، الذي كان عليه حتى هذه اللحظة ان يسيطر على جهازه العصبي ، أحس بسحر غريب .

في هذه المرة لم يهتم بالطوب « الملخلخ » حشر الباب بحذائه وبعد أن عبر منطقة الضوء أضاء مصباح الجيب ليبحث عن صندوق الكرات الصغيرة خلف الكاونتر .

عمل دون حذر . وفيما هو يحرك المصباح من اليمين لليسار ، رأى كومة من الجرار المتربة ، وزوجاً من الركاب بالمهاميز ، وقميصاً ملفوفاً متسخاً بزيت المحرك ، ثم الصندوق الصغير في نفس البقعة التي تركه فيها . لكنه لم يوقف شعاع الضوء حتى آخر الكونتر . كانت هناك قطة .

نظر الحيوان إليه دون غموض ، في مواجهة الضوء . ظل داماسو مسلطاً الضوء على القطة حتى تذكر ، وقد انتابته رجفة خفيفة ، أنه لم يرها أبداً في المكان أثناء النهار . مد المصباح الى الامام وهو يقول « بسس !! » لكن الحيوان ظل جامداً لا يتحرك . ثم كان نوع من الانفجار الصامت داخل رأسه ، واختفت القطة تماماً من ذاكرته . وحين تحقق مما يحدث كان قد أطفأ المصباح وهو يحتضن لفة الكرات في صدره . ثم أضيئت الحجرة .

« حسن » !

تعرف على صوت روك . وقف ببطيء ، مستشعراً تعباً فظيعاً في كليتيه . اقترب روك من نهاية الحجرة ، وهو يرتدي ملابسه الداخلية وفي يده قضيب حديدي ، وما زال الضوء يغشى عينيه . كانت ثمة أرجوحة شبكية معلقة خلف الزجاجات والصناديق الفارغة ، قريبة جداً من البقعة التي مر بها داماسو حين

دخل . هذا أيضاً مختلف عن المرة الأولى .

حين كان على مبعدة ثلاثين قدماً أو أقل وثب روك وثبة صغيرة واتخذ وضعاً دفاعياً . أخفى داماسو يده التي تمسك بالصرة خلف ظهره . غضن روك أنفه ومد رأسه ، محاولاً أن يتعرف عليه بدون نظارة .

« أنت ! » صاح متعجباً .

أحس داماسو كما لو أن شيئاً أزلياً قد انتهى أخيراً . أنزل روك قضيب الحديد واقترب منه فاغر الفم . دون نظارات ودون أسنانه الصناعية بدا روك مثل امرأة :

« ماذا تفعل هنا ؟ »

« لا شيء » قال داماسو .

غير مكانه بحركة سريعة .

- « ما الذي معك ؟ »

تراجع داماسو الى الوراء : « لا شيء » .

احمر وجه روك وبدأ يرتعش :

« ما الذي معك ؟ » صاح ، متقدماً للأمام رافعاً القضيب الحديد . أعطاه داماسو اللفة . أخذها روك بيده اليسرى ، وهو ما يزال في وضع دفاعي ، وفحصها بأصابعه . حينئذ فقط فهم :

« مستحيل ! » .

أذهلته المفاجأة ، حتى أنه وضع القضيب الحديد على الكاونتر وبدا أنه نسي داماسو فيما كان يفتح اللفة . تأمل كرات البيسبول في صمت .

« جئت لأعيدها » قال داماسو .

« طبعاً » قال روك .

أحس داماسو بالانهاك . كان تأثير الكحول قد زايله تماماً ، ولم يبق سوى

مـذاق الثمـالـة ، أشبـه بـطعم الحصى ، عـلى طـرف لسـانــه ، وشعـور مبهم بالوحدة . قال روك : « اذن فهذه هي المعجزة ، لا أصدق أنك بهـذا الغباء » .
وحين رفع رأسه ، كان قد غيَّر تعبيرات وجهه :
« والمائتي بيزو ؟ »

رد داماسو : « لم يكن هناك شيء في الدرج » .

نـظر روك اليـه بـامعـان ، محـركـاً فكيــه ، ثم ابتسم : « لم يكن هنـاك شيء » ، وكـــررهـا عـــدة مرات : « اذنْ فلم يكن هنـــاك شيء » . وأمسـك بالقضيب مرة اخرى وهو يقول :
« حسن ، إننا ذاهبان لنخبر العمدة بهذه القصة فوراً » .

جففـ داماسو عرق يديه في منطاله :
« أنت تعرف أنه لم يكن يوجد شيء » .

ظل روك مبتسماً :
« كـان في الدرج مـائتي بيـزو ، والآن سـوف يخـرجـون هـذه النقـود من جلدك ، أن تكون لصاً ليس أسوأ من أن تكون مغفلاً ! » .

* * * *

جابرييل جارسيا ماركيز :

ورود صناعية

في عتمة الفجر كانت مينا تعرف طريقها . ارتدت ثوبها بلا أكمام ، وكانت في الليلة السابقة قد علقته بجوار السرير ، وبحثت في صندوق الثياب عن الأكمام المنفصلة . ثم بحثت عنها على المسامير المثبتة في الحيطان ، وخلف الأبواب ، محاولة ألا تُحدثَ صوتاً حتى لا توقظ جدتها العمياء التي كانت تنام في نفس الحجرة . ولكنها عندما اعتادت الظلمة لاحظت أن الجدة قد استيقظت ، فذهبت اليها في المطبخ لتسألها عن الأكمام .

« إنها في الحمام » . قالت المرأة العمياء . قد غسلتها أمس بعد الظهر » .

كانت الأكمام هناك ، معلقة على سلك بمشبكين خشبيين كانت ما تزال مبتلة . رجعت ميناً الى المطبخ وشدت الأكمام على أحجار الموقد . أمامها كانت المرأة العمياء تحرك القهوة ، وحدقتا عينيها الميتتان مثبتتان على سور الشرفة الحجري حيث كان يوجد صف من الأصص زُرعت بها أعشاب طبية .

قالت مينا « لا تأخذي حاجياتي مرة ثانية هذه الأيام لا تستطيعين الاعتماد على الشمس . حركت المرأة العمياء وجهها صوب الصوت ثم قالت :
« لقد نسيت أن اليوم هو الجمعة الكبيرة » .

وبعد أن تشممت القهوة بنفس عميق لترى إن كانت قد نضجت ، أخذت الاناء من على النار . ثم قالت :
« ضعي قطعة ورق تحت ، لأن هذه الأحجار متسخة » .

مرت مينا بسبابتها على أحجار الموقد . كانت متسخة ، ولكن طبقة السناج الصلبة لم تكن لتجعل الاكمام تتسخ ما لم يكن أحد قد دعكها على الأحجار .

قالت : « إذاً كانت قد اتسخت فأنت المسئولة » .

صبت المرأة العمياء لنفسها فنجان قهوة . ثم قالت وهي تجذب كرسياً الى الشرفة : « أنت غاضبة ، وحرام أن يشترك[1] المرء وهو غاضب » . جلست تشرب قهوتها قبالة الورود في الشرفة . وحين دق الجرس معلناً للمرة الثالثة عن القداس ، أخذت مينا الأكمام من على أحجار الموقد وكانت ما تزال مبتلة . ولكنها لبستها . لن يسمح لها الأب أنجيل بالتناول وهي عارية الأكتاف . لم تغسل وجهها . أزالت أثار أحمر الشفاة بمنشفة ، أخذت كتاب الصلاة وشالاً من حجرتها ثم نزلت الى الشارع . بعد ربع ساعة عادت ثانية .

قالت المرأة العجوز وهي جالسة أمام الورود في الشرفة : « ستذهبين بعد قراءة الإنجيل » .

ذهبت مينا فوراً الى المرحاض وهي تقول : « لا أستطيع الذهاب الى القداس . الأكمام مبتلة والثوب كله مجعد » . أحست بنظرة ثاقبة تتبعها .

أوضحت المرأة العمياء قائلة :

« الجمعة الكبيرة ولن تذهبي الى القداس ؟ »

إثر عودتها من المرحاض ، صبت مينا لنفسها فنجان قهوة وجلست في مواجهة الممر الأبيض المغسول ، بجوار المرأة العمياء . لكنها لم تستطع شرب القهوة .

« « اللوم يقع عليك » غمغمت مينا بحقد دفين وقد أحست أنها تغرق في دموعها .

« أنت تبكين ! » . تعجبت المرأة العمياء .

وضعت إناء الماء بجوار باقي الأواني وخرجت الى الشرفة وهي تكرر « أنت تبكين » . وضعت مينا فنجانها على الأرض قبل أن تجلس وقالت : « إني أبكي من الغضب » ثم أضافت ، وهي تمر الى جوار جدتها » يجب أن تذهبي

(١) أي يشترك في طقوس التناول في الكنيسة .

للاعتراف لأنك تسبب في غيابي عن اشتراك الجمعة الكبيرة » .

ظلت المرأة العمياء بلا حراك ، منتظرة مينا أن تغلق باب حجرة النوم . ثم مشت الى نهاية الشرفة . مالت بجزعها حتى وجدت الفنجان الذي لم يمس على الأرض . وبينما كانت تصب القهوة ، اسمرت قائلة :

« الله يعلم أن ضميري سليم » .

خرجت أم مينا من حجرة النوم . سألت :

ـ « إلى من تتحدثين ؟ »

ردت المرأة العمياء :

ـ « لا أحد . قلت لك من قبل . إني في طريقي الى الجنون » .

في حجرتها حلت مينا أزرار صدريتها وأخرجت ثلاثة مفاتيح صغيرة كانت تحملها مشبوكة بدبوس . وبواحد من هذه المفاتيح فتحت الدرج السفلي للدولاب وأخذت صندوق الثياب الصغيرة . فتحته بمفتاح آخر . بداخله كانت توجد رزمة خطابات مكتوبة على ورق ملون ، مربوطة بخيط من المطاط . خبأتها في صديريتها ، وضعت الصندوق الصغير في مكانه ، وأغلقت الدرج . ثم ذهبت الى المرحاض ورمت الخطابات فيه .

« ظننت أنكِ في الكنيسة » ، قالت أمها حين دخلت مينا الى المطبخ .

قاطعتها المرأة العمياء : « لم تستطيع الذهاب ، لقد نسيتُ أنا أن اليوم هو الجمعة الكبيرة ، وغسلتُ الأكمام أمس بعد الظهر » .

«غمغمت مينا : « ما تزال مبتلة » .

قالت المرأة العمياء : « كان عليّ أن أعمل بمشقة هذه الأيام » .

قالت مينا : « عليَّ أن أسلم مائة وخمسين دستة ورد لعيد القيامة » .

اشتدت حرارة الشمس مبكراً . قبل السابعة رتبت مينا محل الزهور الصناعية الذي تملكه في حجرة المعيشة : سلة مليئة بتويجات الزهور والأسلاك ، صندوق مليء بورق الكريب ، مقصان ، بكرة خيط ، وإناء صمغ . بعد برهة وصلت ترينيداد ، وتحت ذراعها صندوق من الورق المقوي ، وسألتها لماذا لم

تذهب الى القداس .

قالت مينا : « ليس عندي أي أكمام » .

ردت ترينيدات : « أي واحدة كان يمكن أن تعيرك أكماماً .

سحبت كرسياً وجلست بجوار سلة التويجات وقالت مينا : « تأخرت جداً .

أكملت وردة . ثم جذبت السلة قريباً منها لتشذب التويجات بالمقص . وضعت ترينيداد الصندوق الكرتون على الأرض وبدأت العمل .

نظرت مينا الى الصندوق . سألت :

« هل اشتريت حذاء ؟ »

أجابت ترينيداد : « إنها فئران ميتة » .

منذ أن أصبحت ترينيداد خبيرة في تطريز التويجات ، صارت مينا تقضي وقتها في عمل سيقان الزهور من السلك الملفوف بالورق الأخضر . كانتا تعملان في صمت دون أن تلحظا تقدم الشمس في غرفة المعيشة التي كانت تزينها صور الرعاة المطبوعة والصور الفوتوغرافية لأفراد العائلة وحين انتهت من عمل السيقان اتجهت مينا نحو ترينيداد بوجه بدا أنه ينتمي الى شيء غير مادي . كانت ترينداد تطرز بمهارة تثير الاعجاب ، لا تكاد تحرك طرف التويج بين أصابعها ، وساقان مضمومتان . لاحظت مينا حذاءها الرجالي . تجنبت ترينيداد النظرة دون أن ترفع رأسها ، وبخفة سحبت قدميها الى الخلف ، وكفت عن العمل .

قالت : « ما الحكاية ؟ »

مالت مينا تجاهها وقالت : « لقد رحل »

رمت ترينيداد المقص في حجرها :

ـ « لا . »

كررت مينا : « لقد رحل » .

نظرت تريندداد اليها دون أن تطرف لها عين . قسمت تجعيدةٌ رأسية حاجبيها المقطبين .

سألت : « والآن ؟ »

أجابت مينا بصوت ثابت :

ـ « الآن لا شيء » .

أرادت ترينيداد أن تنصرف قبل العاشرة .

استوقفتها مينا ـ وقد تحررت من ثقل همها الشخصي ـ استوقفتها لحظة لتلقي بالفئران الميتة في المرحاض .

كانت المرأة العمياء تشذب شجيرة الورد .

قالت لها مينا وهي تمر : « أراهن أنك لن تعرفي ما في هذا الصندوق » . وهزت الفئران .

بدأت المرأة العمياء تركز انتباهها وقالت : « هزيه مرة أخرى » . أعادت مينا الحركة ، لكن المرأة العمياء لم تستطع التعرف على ما بداخل الصندوق بعد أن انصتت للمرة الثالثة وهي تضغط بسبابتها على شحمة اذنها .

قالت مينا : « إنها الفئران التي وقعت في مصيدة الكنيسة ليلة أمس .

عندما عادت مرت بجوار المرأة العمياء دون كلمة . لكن المرأة العمياء تبعتها . وعندما وصلت الى غرفة المعيشة كانت مينا وحدها بجوار النافذة المغلقة ، تكمل الزهور الصناعية .

قالت المرأة العمياء : « مينا ، إذا أردتِ أن تكوني سعيدة فلا تعترفي مع الغرباء » .

نظرت مينا اليها دون أن تنطق بكلمة .

جلست المرأة العمياء على الكرسي في مواجهتها وحاولت أن تساعدها في العمل . ولكن مينا اوقفتها .

قـالت المرأة العميـاء : « أنت عصبية » ثم سـألت : « لماذا لم تـذهبي الى القداس ؟

ـ « أنت تعرفين أكثر من أي واحد » .

قـالت العمياء : « لـو كانت الأكمـام هي السبب ، لما اهتممتِ بـالخروج من البيت . كان شخصٌ ما في انتظارك على الـطريق وسبب لك نـوعاً من خيبـة الأمل » .

مرت مينا بيديها أمام عيون جدتها ، كما لو كانت تنظف لوحاً زجاجياً غـير مرئي .

ثم قالت لها : « أنت ساحرة » . !

قـالت المرأة العميـاء : « لقد ذهبتِ الى المـرحاض مـرتين هـذا الصباح . وأنت لا تذهبين أكثر من مرة واحدة » .

استمرت مينا في عمل الزهور . سألتها المرأة العمياء : « هل تجرؤ ين على أن تُريني ما تخبئينه في درج الدولاب ؟ »

على مهل لصقت مينا الوردة على إطار النافذة ، وأخـذت المفاتيـح الثلاثـة الصغيرة من صديريتها ، ووضعتها في يد المرأة العمياء التي اغلقت أصابعها .

قالت مينا : « اذهبي أنت لترى بعينيك » .

فحصت العمياء المفاتيح الصغيرة بأطراف أصابعها . ثم قالت :

« إن عيني لا تستطيعان رؤ ية ما بأعماق المرحاض » .

رفعت مينا رأسها ثم شعرت باحساس مختلف ، شعرت أن المـرأة العمياء عرفت أنها تنظر اليها . قالت :

« إقـذفي بنفسكِ في أعمـاق المرحـاض اذا كـان مـا أفعله يهمـك الى هـذا الحد » .

تجاهلت المرأة العمياء هذه المقاطعة وقالت :

وإنك دائماً تظلين مستيقظة في فراشك تكتبين حتى مطلع الصباح » .
قالت مينا :
ـ « أنت نفسك تطفئين النور » .
ردت العمياء :
ـ وفوراً تضيئين المصباح اليدوي ، أستطيع أن أقول لك إنك تكتبين مثلما تتنفسين .

جاهدت مينا لكي تبقى هادئة ، ثم قالت دون أن ترفع رأسها :
« حسناً ، ولنفرض أن هذا صحيح ، فماذا يهمك في هذا ؟ » .
ـ لا شيء ، سوى أن هذا جعلك لا تلحقين بقداس الجمعة الكبيرة » .

بكلتا يديها التقطت مينا لفة الخيط ، والمقص ، وحفنة من الورود والسيقان التي لم تنته بعد . وضعتها جميعاً في السلة وواجهت المرأة العمياء :
ـ هل تودين أن أخبرك أنني ذهبت لأفعلها في المرحاض ؟
ظلت كلتاهما في حالة ترقب حتى أجابت مينا على سؤالها :
ـ ذهبت لآخذ خراء .

ألقت المرأة العمياء بالمفاتيح الثلاثة الصغيرة في السلة ، وهمهمت وهي ذاهبة الى المطبخ :
ـ يا له من عذر لائق ، كان يمكن أن تقنعيني لو لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تسبين فيها . « كانت والدة مينا قادمة عبر الممر في الاتجاه المضاد ، وكانت ذراعاها مليئتان بباقات الزهور ذات الأشواك . سألت :

ـ ما الذي يحدث ؟

أجابت المرأة العمياء :
ـ « إنني مجنونة ، ولكنك في الغالب لن ترسليني الى المصلحة العقلية ما دمت لم أبدأ في إلقاء الأحجار » .

* * *

جابرييل جارسيا ماركيز :

عينا كلب أزرق

قصة قصيرة

ثم نظرتْ إليّ . ظننت أنها كانت تنظر لي للمرة الأولى . لكن عندئذ ، عندما استدارت خلف المصباح وكنت ما أزال أُحس نظراتها المراوغة المداهنة خلفي ، عبر كتفي ، فهمت أني أنا الذي كنت أنظرُ إليها للمرة الأولى . أشعلتُ سيجارة . سحبتُ نفساً من الدخان النفاذ قبل أن أدورَ بالكرسي مرتكزاً على احدى رجليه الخلفيتين . بعد ذلك رأيتها هناك ، كما لو أنها كانت واقفة بجوار المصباح تنظر إليّ كلَ ليلة . لدقائق قليلة كان ذلك كل ما فعلناه : ينظرُ كلُ منا إلى الآخر . نظرت من على الكرسي ، مرتكزاً على إحدى رجليه الخلفيتين . ووقفتْ هي ، ويدها الطويلة الهادئة على المصباح ، تنظُر إليَّ . رأيتُ جفنيها مضيئين مثلَ كل ليلة . عندئذ تذكرت الشيء المعتاد ، عندما قلت لها : « عينا كلب أزرق » . دون أن ترفع يدها عن المصباح قالت لي « هكذا . لن ننسى ذلك » . تحركتْ من مكانها وهي تتنهد : « عينا كلب أزرق . لقد كتبتُها في كل مكان » .

رأيتها تسير صوب « التسريحة » . راقبتُها وهي تبين في زجاج المرآة الدائري تنظر اليَّ بعينيها الجمرتين العظيمتين : تنظر اليَّ بينما كانت تفتح الصندوق الصغير المغطى بلؤلؤة وردية اللون . رايتها تضع المسحوق على أنفها . عندما انتهت ، أغلقتْ الصندوق ، ووقفْت مرة أخرى ، ومشتْ صوب المصباح قائلة : « أخاف أن يكون أحدهم يحلم بهذه الحجرة ويكشف أسراري » . وفوق لهب المصباح مدت نفس اليد الطويلة المرتجفة التي كانت تدفئها قبل أن تجلس الى المرآة . وقالت : « ألا تحس بالبرد » وقلت لها : « أحياناً » وقالت لي : « يجب أن تحس به الآن »

عندئذ فهمت لماذا لم أستطع أن أكون وحيداً على المقعد . كان البرد هو الذي يعطيني يقين وحدتي . قلت « الآن أحس به وهذا شيء غريب لأن الليلة هادئة . ربما سقطت الملاءة » . لم تُجبْ . مرة أخرى بدأتْ تتحرك صوب المرآة واستدرتُ ثانية بالكرسي ، معطياً ظهري لها . ودون أن أراها ، كنت أعرف ماذا تفعل . كنت أعرف أنها جالسة أمام المرآة مرة ثانية ، ترى ظهري الذي كان لديه الوقت ليصل الى أعماق المرآة ويقع تحت بصرها الذي كان أيضاً لديه الوقت ليصل الى الأعماق ويعود قبل أن تبدأ اليد الدورة الثانية ـ حتى كانت شفتاها الآن مدهونتين باللون القرمزي منذ أول دورة ليدها أمام المرآة . رأيت ، . في مواجهتي الحائط الناعم الذي كان يشبه مرآة أخرى عمياء لم أستطع أن أراها فيها ـ جالسة خلفي ـ ولكني استطعتُ أن اتخيلها في مكانها المحتمل كما لو أن مرآةً قد عُلقت مكان الحائط . قالت لها : « إني أراك » وعلى الحائط رأيت كما لو أنها رفعت عينيها ورأتني في أعماق المرآة وظهري موجه نحوها من الكرسي ، ووجهي نحو الحائط . ثم رأيتها تخفض عينيها مرة أخرى وظلتْ وعيناها دائماً على حمالة ثدييها ، ولا تتكلم . وقلت لها ثانية : « إني أراكِ » . ورفعت عينيها من على حمالة ثدييها مرة أخرى . قالت « هذا مستحيل » . سألتُها لماذا . قالت وعيناها هادئتان وعلى حمالة ثدييها مرة أخرى : « لأن وجهك موجه نحو الحائط » . عندئذ أدرت الكرسي . كانت السيجارة مثبتةً في فمي . وعندما بقيتُ مواجهاً المرآة عادت هي الى جوار المصباح . الآن يداها مفتوحتان وممدودتان فوق اللهب ، مثل جناحي دجاجة ، تشوي نفسها ، ووجهها تظلله أصابع يديها . قالت : « أظن أني سأصاب بالبرد لا بد أن هذه مدينة ثلجية » . أدارتْ وَجهها ليصبح « بروفيل » وجلدها تحول من النحاس الى الأحمر ، وفجأة صارت حزينة . قالت « افعل شيئاً » ثم راحت تخلع ملابسها قطعة قطعة بادئة من فوق ، بحمالة ثدييها . قلت لها : « سأستدير الى الحائط . » قالت : « لا على أي حال ستراني كما رأيتني عندما كنتَ تديرُ ظهرك » وما أن فرغت من قولها هذا حتى كانت قد أصبحت عارية تماماً ،

واللهب يلعق جسدها النحاسي الطويل .

« دائماً كنت أرغب أن أراك هكذا ، وبطنك ملىء بالندوب ، كما لـو كنت قد ضُربتِ » . وقبل أن أتحقق من أن كلماتي كانت فجة في ضـوء عريهـا صارت بـلا حركـة ، تدفىء نفسهـا على كـرة المصبـاح ، وقـالت : « أحيـانـاً أفكـر انني مصنوعة من المعدن » . وصمتت للحظة . تغير وضعُ يديها فـوق اللهب قليلاً . قلت : « أحيـاناً ، في أحـلام أخرى ، فكـرتُ أنكِ لستِ سـوى تمثال بـرونـزي صغير في ركن متحف ما . وربما كنت باردةً لهـذا السبب . وقالت : « أحيـاناً ، عندما أنام على قلبي ، أستطيعُ أن أحس بجسدي يصير أجوفاً وجلدي . رقائق من معدن . ثم حين يجـري الدمُ دفـاقاً في داخـلي ، أحس كأن شخصـاً يناديني ويطرق على معدتي وأستطيع أن أحس صوتي النحاسي في السرير . أنه أشبـه بما تسمـونـه بـالمعـدن المـطروق » . اقـربتْ اكـثر من المصبـاح . قلتُ : « أود أن أسمعكِ » . وقالت : « إذا وجد كلُ منا الآخر ضع أذنك على أضلعي حين أنـام على الجنب الشمال وسوف تسمعني أردد الصدى . طالما أردتك تفعل هـذا يومـاً ما » . سمعتها تتنفس بثقـل وهي تتحدث . وقـالت إنها لسنوات لم تفعـل شيئاً آخـر . وأن حياتهـا قد كُـرست للعثور عـليَّ في الواقـع ، من خلال كلمـة السـر هـذه : « عينا كلب أزرق » . وأنها كـانت تسيرُ عبـر الشـوارع تقـولهـا بصـوتٍ عال ، كطريقة تُبلغُ بها الشخصَ الوحيد الذي يستطيعُ فهمها :

« أنا التي أجيء في أحلامك كلَ ليلة وأقول لك « عينا كلب أزرق »» .

وقالت انها كانت تذهبُ الى المطاعم وقبل أن تطلبَ أيّ شيء كانت تقول للجرسونات : « عينا كلب أزرق ». لكن الجرسونات كانوا ينحنون تبجيلاً دون أن يتذكروا أنهم قـالوا هـذا في أحلامهم . ثم كـانت تكتبُ على المفـارش وتحفرُ بسكين على طلاء الموائد : « عينا كلب أزرق » وعلى النوافذ التي يغبشها البخـار في الفنادق ، والمحطات ، وكل المباني العامة كانت تكتب بسبابتها : « عينا كلب أزرق » . قـالت إنها ذهبتْ مرةً الى مخـزن أدويـة ولاحـظت نفس الـرائحـة التي شمتهـا في حجرتهـا ذات ليلة بعد أن حلمتْ بي . وقـالت لنفسها ، وهي تـرى

الأرضية المكسوة بالفلين النظيف الجديد في مخزن الأدوية (لا بـد أنه قـريب من هنا) . ثم ذهبت الى البائع وقالت له « عينا كلب أزرق » وقالت أن البائـع نظر في عينيهـا وقال لهـا : « حقيقة يـا آنسة ، إن لـك فعلاً عينـين مثل التي تقـولين عنهما » . وقالت له «عليَّ أن أجدَ الرجل الذي قال لي هـذه الكلمات بـالذات في أحـلامي » . وبدأ البـائع يضحـك وذهب الى الطرف الآخـر من المحل . ظلتْ ترى الفلين النظيـف وتشم الرائحة القوية . وكتبت بحروف حمراء : « عينا كلب أزرق » . جاء البائـع من حيثما كـان . قال لهـا : « مدام ، لقـد وسخت الفلين « وأعطاها قطعة قمـاش مبلولة وهـو يقول « نـظفية » . وقـالت ، وهي ما تـزال بجـانب المصباح إنها أمضت بعـد الظهـر كله منحنية تنـظف الفلين وهي تصرخ « عينا كلب أزرق » حتى تجمع الناس على الباب وقالوا إنها مجنونة .

* * *

والآن ، عنـدما انتهتْ من كـلامها ، بقيتُ في الـركن ، جـالسـاً ، أهـتزُ بالكرسي . قلتُ « كل يوم أحاول أن أتذكر الجملة التي سأجـدك بها والآن أظ أني لن أنساها غداً . ومع ذلـك فدائـماً كنت أقول نفس الشيء وعنـدما أستي لم أنسى دائـماً الكلمـات التي يمكن أن أجـدك بهـا » . وقـالت « إنـكَ أنتَ الـذي ابتكرتَ هذه الكلمات في اليوم الأول » . وقلتُ لهـا : « أنا ابتكـرتها لأني رأيت عينيـك الرمـاديتين . لكن أبـداً لم أتذكـرها في الصبـاح التـالي » . تنفست بعمق وقبضتاها مثبتتان بجوار المصباح : « لو استـطعت على الأقـل أن تتذكـر الآن في أيّ مدينة كنتُ اكتُبها » .

لمعت اسنـانها في ضـوء اللهب . قلت : « أود أن ألمسـك الآن » . رفعت الوجه الذي كان ينظر الى اللهب ، رفعت نظرتها ، محترقـة ، مشويـة ، أيضاً ، تماماً مثلهـا ، مثل يـديها ، وشعـرت أنها رآتني ، في الركن حيث كنت جـالسـاً ، هتز مع الكـرسي . قالت : « إنـك لم تخبرني بـذلك أبـداً » . قلت : « ها أنـا أخبرك الآن ، وإنها لحقيقة » .

من الجانب الآخر من المصباح طلبتْ سيجارة . كـان عقب السيجارة قـد اختفى بـين أصـابعي . نسيتُ أني كنت أدخن . قـالت : « لا أعـرف لمـاذا لا استطيع أن أتذكر أين كتبتها » . وقلت لها : « لننسى السبب الذي من أجله لن أكون في الغد قادراً على تذكر الكلمات » . وقالت بحـزن : « لا . . إنما أحيـاناً أفكر أني حلمت بذلك أيضاً » . وقفتُ ومشيتُ صـوب المصباح . كـانت وراءه بقليـل ، وواصلتُ المشي والسيجـارة والثقـاب في يـدي التي لن تمتـدَ وراء المصبـاح . قدمتُ لهـا السيجارة وضعتَهـا بين شفتيهـا ومالتْ لـلامام لتصلَ الى اللهب قبـل أن يكون لـديّ الوقت لاشعـال الثقـاب . قلت « في مـدينـة مـا في العالم ، على كل الجدران ، يجب أن تظهر هذه الكلمات مكتـوبة : « عينـا كلب أزرق » لو تذكرتُها غداً لأستطعت أن أجدكِ » .

رفعت رأسهـا ثانيـة وكـانت الجمـرة المضيئـة بـين شفتيهـا . « عينـا كلب أزرق » هكذا تنهدتْ متذكرة ، والسيجـارة تميل الى ذقنهـا واحدى عينيهـا نصف مغلقة . ثم سحبتْ نفساً من السيجارة وهي تُضعها بـين أصابعهـا وأوضحت : « هـذا شيء آخـر الآن . إن الـدفء يسـري فيَّ » قـالت ذلـك بصـوت فـاتـر يتلاشى ، كما لو أنها لم تقله أصلاً ، لكن كما لو أنها كتبته على قـطعة من الـورق وقربت الورقة من اللهب بينما أنـا أقرأ : « إن الـدفء . . . . » ثم ظلت ممسكة بها بين السبابة والابهام ،وهي تدبرها فيـما كانت ـ الـورقة ـ تحتـرق ولم اقرا سـوى « . . . . في » قبل أن تحترق الورقة تماماً وتسقط الى الأرض وقد تحولت إلى رمـاد مضيء . قلت : « هذا أحسن . أحياناً ارتعب وأنا أراكِ بهـذا الشكل تـرتعشين بجانب المصباح » .

كنا نرى بعضنا لسنوات عديدة . أحياناً ، عندما نكون معاً ، كـان يحدث أن يلقي أحـدهم بملعقة في الخـارج فكنا نستيقظ. وشيئـاً فشيئاً بـدأنـا نفهم أن صداقتنا تـابعة لأشيـاء ، لأبسط الأحداث . كـانت لقاءاتنـا دائماً تنتهي على هذا النحو ، بسقوط ملعقة في الصباح الباكر .

والآن ، وهي واقفة وراء المصباح ، كانت تنظُر إليَّ . تـذكرتُ أنها كـانت تنـظُر إليَّ في الماضي بنفس الـطريقة ، منـذ ذلك الحلم البعيـدة حيث كنت أديرُ الكرسي على إحدى رجليه الخلفيتين وأنا أواجه امرأة غـريبة بعينـين رماديتـين . إنه ذلك الحلم الذي سألتها فيه لأول مـرة : « من أنتِ ؟ « وقالت لي : (إني لا أتذكر) . قلت لها : « لكن أظن أننا رأينا بعضنا من قبل » . وقالت بلا مبالاة : « أظنُ أني حلمت بكَ مرة ، بنفس هـذه الحجرة » . وقلت لهـا : « تمامـاً . إني بـدأتُ أتذكـرُ الآن . « وقالت » يـا للغرابـة . من المؤكد أننـا تقابلنـا في أحلام أخرى » .

أخذتُ نفسين من السيجـارة . كنت ما أزالُ واقفـاً ، مواجهـاً المصباح ، حين ، فجأة ، ثبتُ نظري عليها . نظرتُ إليها من فوق لتحت وكانت مـا تزال نحاساً . معدناً جامداً وبارداً ، لكنه نحاس أصفر رقيق قابل للطرق . قلتُ مرة ثـانية : « أود لـو ألمسك » . فقـالت : « ستـدمر كـل شيء . قلت : « لا يهم الآن . ما علينا إلا أن نقلب الوسادة لكي نتقابل ثـانية » . ومـددت يدي فـوق المصباح . لم تتحرك . قالت قبل أن أستطيع لمسها : « إنك ستدمر كـل شيء . ربما . إذا أنت درتَ وجئتَ خلف المصباح ، فسوف نستيقظ مرعـوبين في مكـان ما من العالم لا نعلم ما هو » . لكنني أصريت قائـلاً : « لا يهم » فقالت : « إذاً قلبنـا الوسـادة فسوف نتقـابل ثـانية . لكن حـين تصحو ستكـون قد نسيت » . بدأتُ أتحركُ صوب الركن . بقيْت هي خلف المصباح تدفىءُ يديها على اللهب . ولم أكن قد اقتربتُ من الكرسي حين سمعتُها تقول خلفي : « عندما استيقظ في منتصف الليل ، أظلُ اتقلبُ في السرير ، وهداب الوسـادة يحرق ركبتي ، وأردد حتى الفجـر : « عينـا كلب أزرق » . ثم بقيت ووجهي صـوب الحـائط . قلتُ دون أن أنظر اليها « إن الفجر يقترب . عندما دقت الساعة الثانية كنت مستيقظاً وكـان هذا منـذ وقت طـويـل مضى » . وذهبتُ إلى البـاب . وعنـدمـا أمسكتُ بالمقبض سمعتُ صوتها مرة ثانية ، نفس الصوت لا يتغير . قالت « لا تفتْح هذا الباب . إن الطرقةَ مليئة بـالأحلام الصعبـة » . وسألتهـا : « كيف عرفت ؟ » .

وقالت لي : « لأني كنت هناك منذ لحظة وكان علي أن أعود حين اكتشفت أني أنام على قلبي . « كان الباب نصف مفتوح . حركتُه قليلاً فهبت نسمة باردة حملت لي معها الرائحة الطازجة للأرض الخضراء والحقول الندية . تحدثْت مرة أخرى . استدرتُ ، وما زلت أحركُ الباب ذي المفصلات الصامتة ، وقلتُ لها: « لا أظن أنه توجد أية طرقة بالخارج . أني اتلقى رائحة الريف » . قالت لي وهي بعيدة بعض الشيء : « إني أعرف هذا أحسن منك . ما يحدث هو أن ثمة امرأة بالخارج تحلم بالريف » . وعقدت ذراعيها فوق اللهب . وواصلتْ كلامها : « إنها تلك المرأة التي كانت تريدُ دائماً أن يكون لها بيتٌ في الريف ولم تكن أبداً قادرة على ترك المدينة . » تذكرت أني قد رأيتُ المرأة في بعض الأحلام الماضية ، لكن عرفتُ ، والباب موارب الآن ، إنه في خلال نصف ساعة سيكون عليَّ أن أنزل للافطار . وقلت : « أياً كان الأمر ، عليَّ أن أمشي من هنا من أجل أن أستيقظ » .

في الخارج هبت الريح للحظة ، ثم هدأت وكان بالامكان سماعُ تنفس إنسان نائم قد تقلب لتوه في الفراش .

الآن توقفت الرياح الآتية من الحقول ، لم تعد هناك روائح . قلت « غداً سوف أتعرف عليك بهذا . سوف أعرفك عندما أرى في الشارع امرأة تكتب : « عينا كلب أزرق » على الجدران . ردت عليَّ بابتسامة حزينة كانت بالفعل ابتسامة استسلام للمستحيل ، لما لا يمكن الوصول اليه : « لكنك لن تتذكر أي شيء خلال النهار » . ووضعتْ يديها على المصباح ، واكتست ملامحها بسحابة من الأسى . « إنك الرجل الوحيد الذي لا يتذكر شيئاً ، مما يحلم به ، بعد أن يستيقظ » .

١٩٥٠

* * *

قصة من البرازيل :

الرجل الذي ظهر

تأليف الكاتبة البرازيلية :

كلاريس ليسبكتور

مقدمة

ربما كانت كلاريس ليسبكتور أهم كاتبة في البرازيل . ولدت عام ١٩٢٢ وكان كتابها الأول بعنوان La Cos di Familia الذي ظهر عام ١٩٥٠ ، وهو يضم مجموعة من القصص القصيرة من ضمنها قصتها الذائعة « جريمة مدرس الرياضة » والتي ظهرت في عدة منتخبات مثل « قصص برازيلين حديثة » ترجمة وتحرير وليام جروسمان ، نشر مطبعة جامعة كاليفورنيا عام ١٩٦٧ كما نشرت كلاريس لسبكتور ست روايات من بينها « التفاحة في الظلام » عام ١٩٦٧ و« الوجد طبقاً لج . هـ » عام ١٩٦٤ . وهي كاتبة مهتمة أساساً بالقيم الانسانية والروحية ، لها أسلوبها وحساسيتها المميزين .

كان اليوم يوم سبت بعد الظهر ، حوالي السادسة أو قرب السابعة نزلت من البيت لاشترى كوكا كولا وسجائر . عبرت الشارع وتوجهت صوب المحل الصغير الذي يملكه مانويل البرتغالي .

وبينما كنت أنتظر دوري ، اقترب مني رجل يعزف على هارمونيكا صغيرة . نظر إليَّ عزف لحناً قصيراً ، ونطق أسمى . قال انه عرفني في المركز الثقافي الانجليزي ، حيث كنت قد درست في الحقيقة لمدة شهرين أو ثلاثة. قال لي « لا تخافي مني » أجبت « أنا لست خائفة ، ما اسمك ؟ » أجاب بالانجليزية وبابتسامة حزينة : « فيما يهم الاسم ؟ » ثم قال لمانويل : « هذه المرأة التي أمامك لا تتفوق عليَّ سوى لأنها تكتب وأنا لا أكتب » .

لم يبد على مانويل أي رد فعل . كان الرجل ثملاً تماماً . وحين أخذت حاجياتي وهممت بالانصراف قال « هل يمكن أن أتشرف بحمل الزجاجات والسجائر ؟ »

ناولته الأشياء التي اشتريتها . وعند باب العمارة أخذت الكوكاكولا والسجائر . وقف أمامي بلا حراك . ثم لما وجدت أن وجهه مألوف جداً لي سألته اسمه .

« أنا كلوديو »

« كلوديو من ؟ »

« حسن . . هل يمكن أن توقفي هذا . من من ؟ اسمي كلوديو بريتو . . »

صحت « كلوديو . . يا إلهي ، ارجوك اصعد معي الى شقتي ! »

« في أي طابق أنت ؟ »

قلت له الطابق الذي اسكن فيه ورقم شقتي . قال انه ذاهب لدفع فاتورة في المحل الصغير ثم سيصعد عندي بعد ذلك .

كانت ثمة صديقة معي في شقتي . أخبرتها بما حدث وقلت : « قد لا يأتي

لأنه خجول جداً » .

قالت صديقتي « لن يأتي ، أنه ثمل ، سوف ينسى رقم الشقة . وإذا جاء فسوف لا يغادر المكـان . قولي لي إذا كنت تـريدين أن أذهب لغـرفتي وأتركـكـما وحدكما » .

انتظرت ـ لا شيء . صدمتني الهزيمة . . هزيمة كلوديـو بريتـو ، أحسست بالاكتئاب وغيرت ملابسي . ثم دق جـرس الباب . وعبـر الباب المغلق سـألت من الطارق . قال « كلوديو » .

قلت « انتظر عندك على المقعد في الممر .سوف أفتح الباب بعد دقيقة » .

غيرت ملابسي . كان كلوديو هذا شاعـراً كبيراً . مـاذا فعل بنفسـه طوال هذه المدة ؟ دخـل ، وسرعـان ما بـدأ يلعب مع كلبي وهـو يقول أن الحيـوانات وحـدها هي التي تفهمـه . سألتـه أن كان.يـريد قهـوة . قال « أنـا لا أشرب إلا المشروبات القوية . إني أسكر منذ ثلاثة أيام » .

كذبت عليه وقلت له للأسف أنه لا يوجد بالبيت أية مشروبـات روحية . وصممت أن أحضـر لـه قهـوة . نـظر اليَّ نـظرة جـادة وهـو يقـول « لا تعـطيني أوامر » .

أجبت « أنا لا آمرك . . إنني أسألك أن تشرب قهوة ، لدي ترمـوس ملىء بالقهوة اللذيذة » .

قال انه يحب قهوته مركزة . أحضرت كوب شـاي مليئاً بـالقهوة مـع قليل من السكـر لم يلمسهـا . ألححت عليـه . ثم شـرب القهـوة وهـو يتحـدث الى كلبي » . إذا كسرت هذا الفنجان فسأدفـع أنا ثمنـه . أنظري كيف ينـظر اليَّ ، إنه يفهمني » .

ـ « أنا أيضاً أفهمك » .

ـ « أنت ؟ إن الشيء الوحيد الذي يهمك هو الأدب . »

ـ « حسن . أنت مخطىء . إن أطفالي ، عائلتي ، أصدقائي ـ يأتون أولاً » .

نظر إليّ متحيراً ، وسألني « هل تقسمين أن الأدب لا يهمك ؟ »

ـ « أقسم بذلك » أجبته . بالتأكيد الذي يأتي من الاحساس بالحقيقة الداخلية . وأضفت « أي قطة ، أي كلب تستحق الاهتمام أكثر من الأدب »

قال : « في هذه الحالة شدي على يدي . إني أثق بك »

ـ « هل انت متزوج ؟ »

ـ « آلاف المرات . . إن ذاكرتي لم تعد تسعفني »

ـ « هل لديك أطفال ؟ »

ـ« لدي ولد في الخامسة من عمره »

ـ« سأحضر لك مزيداً من القهوة »

أحضرت له كوباً آخر من القهوة . قال وهو يرتشف « إنك امرأة غريبة » .

ـ « لا . لست امرأة غريبة . إني بسيطة للغاية . . ليس هناك أي تعقيد بالنسبة لي » .

حكى لي قصة عن شخص اسمه فرانسيسكو ، لم أفهم حقيقة من هو . سألته « أي نوع من الأعمال تقوم به ؟ »

ـ« أنا لا أعمل . . لقد فصلت لأني مدمن خمر ولأني حالة عقلية » .

ـ« أنك لست بحالة عقلية على الاطلاق . . فقط أنت تشرب أكثر من اللازم » .

أخبرني أنه حارب في فيتنام . وأنه عمل بحاراً لمدة عامين . وإنه عشق البحر . وامتلأت عيناه بالدموع .

قلت « كن رجلاً وابك ، ابك كما تريد ، كن شجاعاً وابك . لا بد أن لديك أسباباً عديدة للبكاء . .

ـ« وها أنا أشرب القهوة وأبكي . . . .

ـ « لا يهم ، ابكي واعتبر أنني لست موجودة .

بكى قليلاً . كان رجلاً جميلاً ، في حاجة لحلاقة ذقنه ، رجلاً مهزوماً . لقد رأى أنه فشل . مثلنا جميعاً . سألني أن كان يستطيع أن يقرأ لي قصيدة قلت إني أحب أن أسمع منه . فتح حقيبة ، اخرج منها دفتراً سميكاً ، وضحك عالياً دون أن يفتحه .

ثم قرأ القصيدة . كانت رائعة . لقد مزج بين الكلمات القبيحة وأعظم المعاني رقة . أردت أن أصيح « آه يا كلوديو ، كلنا فاشلون ، كلنا سوف نموت يوماً ما ! من ذلك الذي يستطيع أن يقول صادقاً انه حقق ذاته في هذه الحياة ؟ إن النجاح كذبة » .

ـ قلت « إنها جميلة هذه القصيدة . هل لديك قصائد أخرى ؟ »

ـ « لدي واحدة أخرى ، لكن لا بد أنني أضايقك . أنا واثق أنك ترغبين أن أذهب إلى حال سبيلي » .

ـ « لا أريدك أن ترحل الآن . سأجعلك تعرف متى ينبغي أن ترحل . سآوي لفراشي مبكراً » .

بحث عن القصيدة في دفتره ، لم يجدها . فترك دفتره . قال « اعرف القليل عنك . حتى انني أعرف زوجك السابق » .

ظللت صامتة .

ـ « انك جميلة »

ظللت صامتة .

كنت حزينة للغاية . ولم أعرف ماذا أفعل لأساعده . إنه عجز فظيع ألا تعرف كيف تساعد أحداً .

قال لي « سوف أنتحر يوماً ما . . »

قاطعته « أبداً لن تنتحر . إنه واجبنا أن نحيا . ويمكن أن نحيا حياة طيبة . صدقني » .

وكنت أنا التي ابكي بغزارة هذه المرة . لم يكن ثمة شيء استطيع عمله .

سألته أين يعيش . قال ان لديه شقة صغيرة في بوتافوجو . قلت « اذهب لبيتك ونم » .

ـ « أولاً يجب أن أرى ابني ، إنه مريض بالحمى »

ـ « ما اسم ابنك ؟ »

قال لي اسمه .

أجبت « إن لدي ابناً بنفس الاسم »

« أعرف ذلك . »

ـ سأعطيك كتاب قصص للأطفال كتبته يوماً ما لأطفالي . اقرأها له بصوت عال » .

أعطيته الكتاب وكتبت عليه اهداء . وضع الكتاب فيما يستعمله كحقيبة . قلت له بأس « هل تريد كوكاكولا ؟ »

ـ « إن لديك هوساً لتقديم القهوة والكوكاكولا للناس »

ـ« هذا لأنه ليس لديَّ شيئاً آخر أقدمه » .

عند الباب قبل يدي . سرت معه حتى المصعد ، ضغطت على زر الطابق الأرض ، وقلت له « في رعاية الله » .

هبط المصعد . عدت الى شقتي ، أطفأت الأنوار ، أخبرت صديقتي انه ذهب لتوه ، غيرت ملابسي ، أخذت أقراصاً منومة ـ وجلست في الصالة أدخن سيجارة . تذكرت أن كلوديو ، منذ دقائق ، قد طلب مني أن أعطيه السيجارة التي كنت أدخنها . أعطيتها له . دخنها . قال أيضاً « يوماً ما سوف اقتل أحداً » .

ـ« هذا ليس صحيحاً . أنا لا أصدقك » .

أخبرني أيضاً كيف أنه أطلق النار على كلب كان يتعذب . سألتـه إن كان قد رأى فيلماً اسمه « إنهم يقتلون الخيول ، أليس كذلـك ؟ » وسموه بـالبرتغـالية « ليلة اليأس » . نعم . كان قد رآه .

ظللت أدخن . نظر كلبي إليَّ من خلال الظلام .

كَان هذا بالأمس ، يوم السبت . اليـوم الأحد ، الثـاني عشر من مـايو ، عيد الأم . كيف يمكن أن أكون أماً لهذا الرجل ؟ سألت نفسي وما من جواب .
ما من جواب لأي شيء .
ذهبت لأستلقي . لقد متُّ .

* * *

قصة من جواتيمالا :

حكاية تاتيوانا

مقدمة عن الكاتب

ولد ميجويل انجيل استورياس عام ١٨٩٩ في جواتيمالا . نال جائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٧ .ز عمل في السنوات الأخيرة سفيراً لبلاده في باريس حيث يعيش لكنه كان دائم الاتصال ببلده « لأني حين أبعد عنها أتوقف عن سماع صوتها . صوت الناس وصوت الأرض ومن ثم لا أستطيع أن أكتب » أستلهم في بعض أعماله الروائية الميراث الهندي في أمريكا اللاتينية . . بينما في روايات أخرى تناول قضايا سياسية من واقع بلاده مثل رواية .

التي كانت هجوماً مريراً على الدكتاتور استراداً جابريراً . وثمة رواية هامة له جمعت بين الاتجاهين هي « رجال القمح » . تأثر في بداية حياته الأدبية بالسريالية لكنه سرعان ما قدم ثلاثيته « جمهورية الموز » وكان المجلد الأول منها هو « رياح عاصفة » وربما أمكن القول أن رواياته العشرة يميزها الاهتمام بقضايا الفقراء المنسحقين . كما يمكن القول أن نظرته الشاملة للعالم قريبة بعض الشيء من نظرة فرانز كافكا .

ميجويل انجيل استورياس

كان الأب شجر اللوز بلحيتـه الحمراء الـوردية واحـداً من الكهنة الـذين يرتدون ملابس فاخرة غالية الثمن حتى أن الرجال البيض كانوا يلمسونها بأيديهم ليروا ما اذا كانت مصنوعة من الذهب . كان يعرف سر النباتات الطبيـة ، ولغة الآلهة التي تتحدث بها من خلال زجاج شفاف . وكـان يستطيـع أن يقرأ أسـرار النجوم في المساء .

ظهر ذات يوم في الغابة ، دون أن يزرعه أحـد ، كأن الأرواح قـد جاءت بـه . كان طـويلاً حتى أنـه يستطيـع دفع السحب بيـديه ، وكـان يقيس السنين بالأقمار التي يراها ، وكان عجوزاً تماماً عندما جاء من « حديقة يتولان » .

عندما انتصف القمر في شهر « السمكـة » وهو أحـد الشهور العشـرين في السنة ذات الأربعمائـة يوم قسم الأب شجـر اللوز روحه بـين الطرق الأربعـة هذه الطرق الأربعة تؤدي الى أجزاء السماء الأربعة : الربع الأسود ، واسمه ليل الساحرة ، والربع الأخضر واسمه عاصفة الربيع ، والربع الأحمر واسمه النشـوة الاستوائية ، والربع الأبيض واسمه وعد الأرض الجديدة .

« أيها الطريق الصغير ! »

هكذا نادت الحمامة الـطريق الأبيض ، لكن الطريق الأبيض لم ينصت . كانت الحمامة تريد من روح الأب شجر اللوز أن يشفيها من أحلامها أن الحمام والأطفال كلاهما يعاني من الأحلام .

« أيها الطريق ! أيهـا الطريق الصغـير » هكذا نـادى أحد القلوب الـطريق الأحمر لكن الطريق الأحمر لم ينصت . كان القلب يـريد أن يحـول انتباه الـطريق الأحمـر حتى ينسى روح الأب شجـر اللوز . أن القلوب ، مثل اللصـوص ، لا يعيدون ما يتركه الآخرون لديهم .

« أيها الطريق ! أيها الطريق الصغير ! » .

نـادت الكرمـة الطريق الأخضـر، لكن الطريق الأخضـر لم ينصت لهـا .

كانت تريد من روح الأب ان تعيد اليها بعض الأوراق والظلال التي بددتها .

كم من الشهور القمرية ظلت الطرق تسافر ؟

أن أسرع الطرق الطريق الأسود ، الذي لم يتحدث اليه أحد طوال الرحلة ، دخل المدينة ، اخترق الساحة العامة وذهب الى حي التجار حيث أعطى روح الأب شجر اللوز الى تاجر المجوهرات التي لا تقدر بثمن في مقابل فترة راحة قصيرة .

كانت هذه ساعة القطط البيضاء التي راحت تتجول في الشوارع بينما بدت السحب في السماء مثل قطيع من الخيل .

عندما اكتشف الأب شجر اللوز ما فعله الطريق الأسود اتخذ مرة ثانية هيئة الانسان بعد أن صب هيئته كشجرة في جدول مائي صغير . فبدت على شكل زهرة اللوز تحت ضوء القمر . ثم ذهب الى المدينة .

وصل إلى الوادي بعد يوم سفر ، وصل في المساء عندما كانت القطعان تساق عائدة الى البيوت .

صعق الرعاة عندما رأوا هذا الرجل بعباءته الخضراء ولحيته الحمراء الوردية . . ظنوا أنه شبح وكانوا يجيبون على أسئلته بكلمات مقتضبة .

ذات مرة اتخذ طريقه الى الجزء الغربي من المدينة . كان الرجال والنساء يقفون حول النافورة العامة وكانت المياه تحدث صوتاً مثل صوت القبلات وهي تملأ جرارهم .

ولما ساروا وراء الظلال الى حي التجار وجد أن جزءاً من روحه، الطريق الأسود ـ قد بيع . وكان تاجر الجواهر التي لا تقدر بثمن قد حفظه في صندوق كريستال ذي أقفال ذهبية . ذهب الى التاجر الذي كان يدخن في أحد الأركان ، وقدم له لآلىء قيمتها ألفان من الجنيهات مقابل أن يرد له قطعة روحه . ابتسم التاجر لدى سماعه العرض غير المعقول الذي قدمه الأب ، ألفا جنيه ؟ لا ، إن جواهره لا تقدر بثمن .

وزاد الأب شجر اللوز من قيمة عرضه : سوف يعطيه زمرداً ، زمرداً كبيراً ، الواحدة في حجم حبة القمح ، سوف يعطيه خمسين فداناً منها ، بما يكفل لعمل بحيرة من الزمرد .

ابتسم التاجر مرة أخرى . بحيرة من الزمرد ؟ لا . . إن جواهره لا تقدر بثمن .

سوف يعطيه تعاويذ وأحجبة مصنوعة من عيون الغزال تجلب المطر ، وريشاً لتحويل مسار العواصف ، ومارجوانا ليخلط مع التبغ . رفض التاجر كل هذا .

سوف يعطيه مقداراً هائلاً من الأحجار الثمينة تكفي لبناء قصر خرافي في وسط بحيرة الزمرد .

لكن التاجر ما زال يرفض . إن جواهره لا تقدر بثمن - فلماذا يواصل الحديث عن ثمنها ؟ إلى جانب ذلك فقد قرر أن يقايض قطعة الروح هذه بأجمل جارية في سوق الرقيق .

كان من العبث ان يواصل الأب شجر اللوز تقديم العروض وأن يظهر مدى لهفته لاسترداد روحه . لكن التاجر بلا قلب .

خيط من دخان التبغ فصل الواقع عن الحلم ، والقطط السود عن القطط البيض ، والتاجر عن زبونه الغريب . وفيما هو خارج نفض شجر اللوز خفية على الباب ليخلص نفسه من تراب البيت الملعون .

بعد سنة ذات أربعمائة يوم ، كان التاجر عائداً عبر الجبال ومعه الجارية التي اشتراها بروح الأب شجر اللوز ، كان عائداً في موكب من ثلاثين خادماً على ظهور خيولهم .

كانت الجارية عارية وشعرها الأسود الطويل في ضفيرة واحدة مثل الحية ، يسقط بين نهديها ويمتد حتى ساقيها . وكان التاجر يرتدي ملابس ذهبية وعلى

كتفيه غطاء منسوج من شعر الماعز . وكان الخدم الثلاثون على ظهور الخيل يسيرون خلفه كأشباح في حلم .

قال التاجر للجارية محاذياً جواده بجوادها « أنت لا تعرفين كيف ستكون حياتك في المدينة ! سيكون بيتك قصراً وكل خدمي سيكونون رهن اشارتك ، بما فيهم أنا إن أردت » .

كانت الشمس تضيء نصف وجهه . واصل حديثه لها : « هناك سيكون كل شيء لك ، هل تعلمين أني رفضت بحيرة من الزمرد لقاء قطعة الروح التي أخذتك في مقابلها ؟ سنظل طوال اليوم مستلقين في الأرجوحة الشبكية لانفعل شيئاً سوى الانصات لعجوز حكيمة تحكي لنا الحكايات . وهي تعرف مصيري وقدري وتقول أنه في كف مارد . وستخبرك أنت أيضاً بحظك إذا طلبت منها » .

استدارت لجارية لتلقي نظرة على الريف . كان اللون الأزرق الصامت يغطي المنطقة . وكانت الأشجار على جانبي الطريق تشكل مشهداً أقرب الى الوهم والخيال . . أشبه بالرسوم المطبوعة على وشاح السيدات . كانت السماء ساكنة ، وبدت الطيور وكأنها تطير وهي نائمة ، بلا أجنحة . ووسط ذلك الصمت الصخري بدا لهاث الخيول وهي تصعد التلال كأنه لهاث آدميين .

فجأة بدأت قطرات من المطر كبيرة الحجم ومنفصلة تسقط على الطريق ، أخذ رعاة الأغنام يصرخون وهم يجمعون شتات قطعانهم المذعورة . وراحت الخيول تركض لتجد لها مأوى بيد أنه لم يكن هناك وقت كاف . هبت الرياح ، فدفعت السحب أمامها دفعاً عنيفاً ، وراحت تشق الغابة بقوة حتى وصلت الى الوادي الذي اختفى عن الأنظار تحت غطاء هائل من الضباب في الوقت الذي كانت فيه الصواعق تضيء منطقة الريف مثل ومضات مصور مجنون .

وبينما كانت الخيول تدق الأرض بأرجلها ، وتفر هاربة من الخوف ، وقد تقطعت سيور الأجمة تعثر حصان التاجر وألقى بصاحبه تحت جذع شجرة

كانت في تلك اللحظة قد انشفت بفعل الصواعق ولفت جذورها حوله مثل يد تمسك بحجر وأطاحت به حيث سقط في الوادي المنحدر .

في نفس الوقت كان الأب شجر اللوز ، الذي بقي في المدينة ، يجوب الشوارع مثل المجنون ، يرعب الأطفال ، يمر بين اكوام النفاية ، ويتحدث الى الحمير والثيران والكلاب الضالة وكلها مثل الانسان ذات عيون حزينة .

« كم من الشهور ظلت الطرق تسافر ؟ » هكذا كان يسأل منزلاً « وراء الآخر ، لكن الناس كانوا يصعقون خوفاً من ذلك الرجل في ردائه الأخضر ولحيته الحمراء الوردية ويغلقون الأبواب في وجهه دون إجابة وكأنهم رأوا شبحاً .

وأخيراً وقف الأب شجر اللوز عند باب تاجر الجواهر التي لا تقدرُ بثمن وتحدث الى الجارية التي نجت بمفردها من العاصفة » « كم من الشهور ظلت الطرق تسافر ؟ »

جمدت الاجابة على شفتيها وصمت الأب شجر اللوز . كان القمر بدراً في شهر « السمكة » . وفي صمت راح كل منهما يناجي الآخر كعاشقين تقابلا بعد فراق طويل .

قطع صمتهما صرخات عالية وتم القبض عليهما باسم الله وباسم الملك ، هو باعتباره ساحراً وهي باعتبارها شريكته . وتم نقلهما الى السجن وهما محاطان بحاملي السيوف والصلبان . . الاب شجر اللوز بحليته الحمراء الوردية وردائه الأخضر ، والجارية وقد جمد وجهها حتى بدا أنها مصنوعة من الذهب .

وبعد سبعة شهور حكم عليهما بالموت حرقاً في ساحة العمدة . وفي ليلة التنفيذ رسم الاب شجر اللوز بظفره وشما يمثل قارباً صغيراً على ذراع الجارية . وقال لها : « تايتونا » بهذا الوشم تستطيعين ان تهربي في أي وقت تحسين فيه بالخطر . أريد لك أن تكوني حرة كروحي . ارسمي هذا القارب الصغير على حائط أو على الأرض أو في الهواء . أينما تريدين . ثم أغمضي عينيك ،

وتسلقي الى الخارج واذهبي . .

« اذهبي ، إن روحي أقوى من الأوثان الحجرية »

« إن روحي أحلى من الشهد »

« ومثل روحي ، ستصبحين غير مرئية » .

وفي الحـال ، فعلت تاتيـونا مـا قـالـه الأب شجـر النوز رسمت قـاربـاً صغيراً ، أغمضت عينيها ، وما ركبت القارب تحرك بها . . . وهكـذا هربت من السجن والموت .

وفي الصباح التالي ، يوم التنفيذ ، لم يجد الحراس في الزنزانة سوى شجرة ذابلة لا تزال زهرات اللوز فيها تحتفظ بلونها الأحمر الوردي .

* * *

قصة من المكسيك :

مَكَاريُو

تأليف : خوان رولفو

مقدمة عن الكاتب

عرف الكاتب المكسيكي خوان رولفو كروائي وكاتب قصة قصيرة . ولد عام ١٩١٨ ، ودرس في جامعتي « مكسيكوستي » و« جورا لاجارا » . في روايته الأولى « بدرو بدرامو » ومجموعة القصص القصيرة التي صدرت له عام ١٩٧٦ بعنوان « السهل المحترق » يقدم خوان رولفو رؤ ية لحياة الفلاحين في المكسيك . يقول عنه الناقدان السيدة دومان والسيد هارس « إنه روائي لا يندد بالخيانة والظلم لكنه يعانيهما في صمت كجزء من وباء الحياة » .

المترجم

أنـا جالس الآن بجـانب المجاري منتـظراً الضفادع أن تخـرج . بينما كنـا نتنـاول العشاء الليلة الماضية بدأت في التقافز ولم تكفّ عن الغنـاء حتى الفجر . كـما أن أمي في العماد عرابتي) * تقول إن صيحات الضفـادع حرمتهـا من النوم . وإنها الآن ترغب حقيقة في النوم . ولهذا امـرتني أن أجلس هنا ، بجـانب المجاري ، وفي يـدي قطعـة من الخشب لضرب كـل ضفدعـة تقفز الى الخـارج . الضفادع خضراء من كل جانب ما عدا من الجوف . ضفادع الطين سوداء . عيون خالتي سوداء أيضاً . الضفـادع تأكـل كثيراً . ضفـادع الطين لا تفعـل ذلك . النـاس يأكلون ضفادع الـطين . الناس لا يفعلون ذلـك . ولكن أفعله ، وطعمها مثـل طعم الضفادع العادية . فيليبا هي التي تقول أن أكل ضفـادع الطين شيء سيء فيليبا لها عيون خضراء مثـل عيون القـطة . إنها تطعمني في المـطبخ وقتـما اذهب لأكـل . هن لا تريـدني أن أؤذي الضفادع . ولكن خـالتي هي التي تـأمـرني أن أفعـل الاشياء ـ أنـا أحب فيليبا اكـثر من خـالتي . ولكن خـالتي هي التي تُخـرجُ النقـود من جيبها وبهـذا تستطيـع فيليبا أن تشتـري كل الـطعـام . فيليبـا تجلس وحيدة في المطبخ تطبخ طعاماً لثلاثتنا . منذ أن عـرفتها ، فهـذا كل مـا تفعله . غسل الأطباق من اختصاصي . حمل الأخشاب الى الفرن هـو عملي أيضـاً ، ثم أن خالتي هي التي تغرف لنا الطعام . وبعد أن نأكل تعمل سندوتشين بيديهـا ، واحد لفيليبا ، والآخر لي ، لكن فيليبا أحياناً لا تشعـر برغبـة في الأكل وحينئـذ يكون السندوتشان من نصيبي ، لهذا أحب فيليبا ، لأنني دائماً جوعان ولم امتلىء أبداً ، ولا حتى بعد ان التهم طعـامها . يقـولون أن الشخص يشبـع ويمتلىء من الأكـل ، اعلم تمامـاً أن هذا لا يحـدث لي حتى لو أكلت كـل ما يقـدمونـه لي . وفيليبا تعرف ذلـك أيضاً . يقـولون في الشـارع أني مجنون لأنني لا أشبـع أبداً . وقـد سمعتّهم خالتي يقـولون ذلـك. أنا لم أسمعهم . خـالتي لن تسمـح لي بـأن

(*) يمكن استخـدام لفظ « خـالتي » كمقـابـل لكلمـة « عـرابتي » أو « أُمي الـروحيـة » . ـ المترجم .

أخرج وحدي الى الشارع . عندما تأخذني خارج المنزل فهذا يكـون للذهاب الى الكنيسة . وهناك تجلسني بجـانبها وتـربط يدي بـأطراف شـالها . لا أعـرف لماذا تـربط يدي ، لكنهـا تقول لأنهم يقـولـون أني أفعـل أشيـاء مجنـونـة . ذات يـوم وجـدوني اخنق شخصاً مـا . كنت أخنق سيدة دون سبب عـلى الاطلاق . لكن خالتي هي الشخص الذي يقول ماذا أفعل وهي لا تكذب أبـداً . حين تـدعوني للأكل ، فهي تعطيني نصيبي من الطعـام . إنها ليست مثل بـاقي الناس الـذين يدعونني لآكل معهم ثم حين أقترب منهم يرمـونني بالأحجـار حتى أجري هـارباً دون أن آكل أي شيء . لا ، خالتي طيبة معي . ولهذا فأنا مبسـوط في منزلهـا .

إلى جـانب ذلك فـان فيليبا تعيش هنـا . فيليبـا طيبـة جـداً معي . ولهـذا فـأنـا أحبها . إن لبن فيليبا حلو مثل زهور الخبيـزة . لقد شـربتُ لبن الماعـز وكذلـك لبن الخنزيرة التي ولـدتْ مؤخراً خنـازير صغـار . لكن لا ، ليس في حلاوة لبن فيليبا. الآن لقد مر وقت طويل منذ جعلتني أرضع ثدييها ، وهما في نفس المكان أن حيث يوجد لنا نحن مجرد حبتين داكنتين ، وحيث يخـرج معهما ، إذا عـرفت كيف تحصلُ عليه ، لبن أحلى من ذلك الـذي تعطيـه لنا خـالتي في العشاء أيـام الآحاد ـ اعتادت فيليبا أن تأتي كل ليلة الى الحجرة التي أنـام فيها وتضمني اليهـا وتدفئني وهي فوقي أو جانبي . ثم تثبت ثدييها حتى أتمكن من مص اللبن الحلو الساخن الذي يجـري على لسـاني ـ مرات كثيـرة كنت آكل زهـور الخبيـزة لكي أحاول أن أنسى جوعي . ولبن فيليبا له نفس النكهة ، فيما عـدا أني أحبه أكـثر لأنه في نفس الوقت الـذي تجعلني أرضع فيـه ، فان فيليبـا تداعب كـل جسمي وتدغدغه . ثم انها في معظم الأحيـان تبقى نائمـة بجواري حتى الفجـر . وهذا شيء جميل بالنسبة لي لأني لا أشعر بالبرد ولا أخـاف أن يلقى بي الى الجحيم اذا مت وأنا وحدي ذات ليلة ـ أحيـاناً لا أخـاف من الجحيم بهذا الشكـل . ولكن أحيـاناً أخـاف . وحينئـذٍ أحب أن أخـوف نفس من الـذهـاب الى جهنم في أي يوم ، لأن رأسي صلبة جـداً وأنا أحب أن أخـطبها في أول شيء اقـابله . لكن فيليبـا تأتي وتـطرد مخاوفي وهي تغـطيني بجسدهـا وتمر بيـديها عـلى كل جسـدي

وتـربت علي وتضمني وهي تعـرف كيف تفعل ذلـك وتوقف خـوفي من المـوت .
وأحياناً تقول لي فيليبا ـ حـين تكون سعيـدة وهي معي ـ أنها سوف تقـول للرب
عن كل خطايـاي . سوف تـذهب الى السماء حـالاً وتتحدث معـه ، وتسألـه أن
يعفـو عن كل شـروري التي تملأ جسـدي من رأسي إلى اصبع قـدمي . سـوف
تقول له أن يعفو عني وبذلك لن تزعجني هـذه الشرور مـرة أخرى . وهي لهـذا
السبب تـذهب الى الاعتراف كـل يوم . ليس لأنها سيئـة ، ولكن لأنني أنا مـلىء
بـالشياطـين من الداخـل ، وأن عليها أن تطردهم من جسدي بـالاعتراف نيـابـة
عني . كل يوم . بعد الظهر كل يوم . وهي ستفعل هذا المعروف من أجل طيلة
حياتها . هذا ما تقوله فيليبا . ولهذا فأنا أحبها جداً ـ لكن ما زالت رأس الصلبة
هي المشكلة الكبيرة . إني أخبطها في أعمدة الممر لساعات ولا شيء يحدث لها .
أظل أخبطهـا ولا تنشرخ . أخبـطها في الأرض ـ ببطء في البـداية ، ثم بشـدة ـ
فتحدث صوتاً مثل الطبلة . تماماً مثل الطبلة التي اسمعها مع المزمار الخشبى من
خلال نوافذ الكنيسة ، وأنا مقيد في دثـار خالتي ، أسمـع خارجـاً بوم . . بـوم ـ
وتقـول خالتي انـه إذا كان هنـاك بق وصراصـير وعقارب في حجـرتي فهـذا لأني
سوف أحرق في جهنم اذا ما ظللت أخبط رأسي في الأرض لكن ، أحبه هـو أن
أسمع صوت الطبلة . وعليها أن تعـرف ذلك . حتى وأنـا في الكنيسة ، منتـظراً
أن أخرج بسرعـة الى الشارع لأرى لمـاذا يسمع صـوت الطبلة من هـذه المسافـة
البعيدة ، عميقاً داخل الكنيسة ويعلو فوق لعنات القسيس ـ « إن طريق الأعمال
الطيبة مـلىء بالنـور . وطريق الشـر مظلم « هـذا ما يقـوله القسيس ـ إني أنهض
واخرج من حجرتي بينما الدنيا ما تزال ظلاماً . اكنس الشارع وأعود الى حجرتي
قبل أن يمسك بي ضوء النهار . في الشارع تحدث أشياء هناك ناس كثيرون سوف
يضربونني على رأسـي بالأحجار حالما يرونني . أحجار كبيرة حـادة تنهمر عـلي من
كل جانب . عنـدئذ يتمـزق قميصي ، وعليَّ أن انتـظر أيامـاً كثيرة حتى تنـدمل
جـروح وجهي أو ركبتي . ثم تربط يـداي مرة أخـرى لأنهما لو تـركتا مفكـوكتين
فسوف تسرعان بهرش هذه الجروح حتى تنساب منها الدماء مرة أخرى . الـدماء

لها طعم لذيذ أيضاً ، رغم أنها حقيقة ، ليست في طعم لبن فيليبا ولهذا فأنا أعيش دائماً محبوساً في البيت - فبهذا لن يلقوا أحجاراً علي . وحالما يطعمونني أقفل باب حجرتي على نفس وأوصد الباب وبذلك لن تستطيع خطاياي أن تجرني لأن الدنيا ظلام . وأنا لا أضيء حتى البطارية لأرى على أي موضع من جسدي تتسلق الصراصير . فأظل ساكناً . إنني أنام على أجولة (زكائب) وحالما أشعر بالصراصير تمشي على رقبتي فاني أعطيها خبطة ثم أطوح بها بعيداً . لكني لا أضيء المصباح حتى لا أسمح لخطاياي أن تراني وتمسك بي وأنا أضيء المصباح بحثاً عن الصراصير تحت دثاري . الصراصير حين تهرسها ، تحدث فرقعة مثل فرقعة الخشب في النار ، لا أدري ما اذا كانت الصراصير الأخرى التي تحدث صوتاً في الليل هي أيضاً كذلك . فأنا لا أقتل هذا النوع من الصراصير . فيليبا تقول أن هذه الصراصير دائماً تعمل ضجة وبهذا فأنت لا تستطيع أن تسمع صرخات الأرواح التي تعاني في المطهر . وحين تختفي صراصير الليل هذه فان صرخات الأرماح المقدسة سوف تملأ العالم وسوف تجري هرباً من خطايانا . الى جانب ذلك ، فأنا أحب جداً أن أرهف السمع وأنصت الى أصوات صراصير الليل . يوجد أعداد كبيرة منها في حجرتي . وبما يوجد صراصير ليل بين طيات الأجولة حيث أنام أكثر مما يوجد في الصراصير العادية . توجد أيضاً عقارب . وهي تسقط من السقف بين حين وآخر وعلي أن أمسك أنفاس حتى تشق طريقها عبري لتصل الى أرض الحجرة . لأنه اذا تحرك ذراعي أو ارتعشت احدى عظامي ، فاني أشعر بنار اللدغة في الحال . وهذا مؤلم . ذات مرة واحدة من تلك العقارب قرصت فيليبا في مؤخرتها . وبدأت فيليبا تتأوه وتصدر صبيحات رقيقة للقديسة العذراء ألا تفقد عفاف مؤخرتها . بصقت

أنا على مؤخرتها ثم رحت أدعكها بشدة . وظللت طوال الليل وأنا أبصق وأدعك مؤخرتها وأصلي معها ، وبعد مدة ، حين رأيت أن بصقي لم تجعل حالتها أحسن ، ساعدتها أنا أيضاً بمشاركتها في البكاء بصوت عال قدر ما إستطعت - وعلى أي حال ، فأنا أحب أن أشد انتباه أولئك الذين يعشقون رمي

الناس بالحجارة ولكن أفضل أن أشد انتباههم في حجرتي اكثر من الشارع ـ هنا ـ في الحجرة ـ لا أحد يفعل شيئاً لي ـ حتى خالتي لا توبخني حين ألتهم نصيباً من زهور الرجلة ، أو نبات الأس ، أو الرمان . فهي تعلم كم أنا جائع طول الوقت . تعرف أنني دائماً جائع . تعرف أنه لا توجد وجبة كافية لأن تملأ جوفي ، رغم أني اذهب لأخطف بعض الأشياء لأكلها من هنا وهناك طول الوقت . تعرف إني ألتهم فضلات الطعام التي أقدمها الى الخنازير السمينة ، وعجينة القمح التي أقدمها الى الخنازير الصغيرة . لذا فهي تعرف كم أنا جوعان باستمرار من لحظة قيامي من النوم حتى ذهابي للفراش لأنام . وطالما أجد شيئاً آكله هنا في هذا البيت فسوف أظل فيه ـ لأني أظن أنه يوم أن أقلل من الأكل سوف أذهب مباشرة الى جهنم . ولن يخلصني أحد من هناك ، ولا حتى فيليبا ، التي هي طيبة جداً معي ، أو حتى الوشاح الذي أعطته لي خالتي والذي أضعه حول عنقي ـ أنا الآن جالس على المجاري انتظر الضفادع أن تخرج . لم تخرج واحدة طوال هذا لوقت الذي أجلس فيه . إذا كانت هذه الضفادع ستتأخر في المجيء فسوف اذهب ومن ثم لن تكون هناك وسيلة لقتلها ولن تستطيع خالتي أن تنام بالمرة اذا استمعت اليها تغني وسوف يركبها غضب عظيم . ثم أنها سوف تطلب من واحد من صف القديسين المعلقين على حائط حجرتها أن يرسل الشياطين في اعقابي ، ليأخذونني الى اللعنة الأبدية ، الآن فوراً ، دون حتى أن أمر على المطهر ، ومن ثم فلن استطيع رؤية بابا أو ماما لأنهما في المطهر ـ لذلك فمن الأحسن ان أكف عن الكلام ـ إن ما أود حقيقة أن أفعله هو أن آخذ بضع جرعات من لبن فيليبا ، ذلك اللبن الحلو الذي يضاهي في حلاوته الشهد الذي يخرج من تحت أزهار نبات الرجلة .

* * *

الفهرس